Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 51, No. 3, Supplement 1, 2024

Deanship of Scientific Research

Description in Ibn Jubair's *Journey*: An Aanalytical Study in Light of Philip Hāmon's Techniques

Shafiq Alreqeb*

[1] Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Mu'tah University, Karak, Jordan

Received: 1/3/2023
Revised: 21/6/2023
Accepted: 4/7/2023
Published: 30/5/2024

* *Corresponding author:*
sh12sh54@gmail.com

Citation: Alreqeb, S. M. . (2024). Description in Ibn Jubair's Journey: An Aanalytical Study in Light of Philip Hāmon's Techniques. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *51*(3), 414–427.
https://doi.org/10.35516/hum.v51i3.4768

© 2024 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This research aimed at employing Philip Hāmon's techniques to the study of description in Ibn Jubair's *Journey*.

Methods: Based on Philip Hāmon's methods as outlined in his book *Du Descriptif*, this study took a descriptive and analytical approach. Hamon's methods focused on the processes of description rather than merely the described object, and they aimed to prepare a poetic or semiotic method of description. Factors including spatial context and the nature and purpose of descriptions were examined.

Results: The research found several narrative patterns that contributed to the experience in its way. Formulations often indicate or foretell their inclusion in the text. Different descriptive techniques were used at various points, among the most common were consolidation, designation, defining appearances, rephrasing, and commentary. Ibn Jubair employed several strategies to describe objects, adjusting each one to the context. Analysis showed the Journey's narration and description are tightly linked. There is no narration independent of description, and the kinetic description often served as narration, to the point where it predominated over the nomadic text. The journey's description served the recipient's interests and was built into the description. The ornamental function, the value function, the cognitive function, and the visual function are the most notable of these functions.

Conclusions: The research showed that classic writings rely heavily on descriptions to convey both the sights a traveler sees and his emotional response to those sights, and hence there is a need for new studies on modern narrative studies.

Keywords: ancient Arabic prose, travel literature, Ibn Jubair, description, Philip Hāmon.

الوصفُ في رحلة ابن جُبير: دراسة تحليليّة في ضوء تقنيات فيليب هامون

شفيق محمّد عبدالرّحمن الرّقِب*

قسم اللغة العربيّة وآدابها، كليّة الآداب، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن

ملخّص

الأهداف: هدف البحث إلى توظيف تقنيات (فيليب هامون) في دراسة الوصف في رحلة ابن جبير.

المنهج: اتّبع البحث المنهج الوصفيّ والتحليليّ في ضوء تقنيات (فيليب هامون) الّتي قرّرها في كتابه (في الوصفيّ)، وهي تقنيات سعت إلى إعداد شعريّة أو سيميائيّة للوصف، والاهتمام بتقنيات الوصف وآليّاته لا الموصوف نفسه. وقد تمّ تحليل منازل البحث وضوابطها، وأنماط الوصف ووظائفه.

النتائج: بيّن البحث أنّ المقاطع الوصفيّة كَثُرت في الرّحلة، وتبوّأت مواضع مختلفة فيها، وغالبًا ما كان يُمَهَّدُ لها بصيغٍ تدلّ عليها، أو تُنبِئُ بورودها. وتنوّعت العمليّات الوصفيّة في الرّحلة ولعلّ أبرز هذه الأساليب التّرسيخ والتّعيين وتحديد المظاهر وإعادة الصّياغة والتّعليق. واتّبع ابن جبير أساليب متنوّعة في الوصف تناسب الأشياء الموصوفة وتراعي أحوال الذّات الموصوف لها. وبيّنت الدراسة العلاقة بين السّرد والوصف في الرّحلة، وكيف أنّ العلاقة كانت وطيدة بينهما، فلا نجد فيها سردًا بلا وصف، وأنّ الوصف الحركيّ بالفعل، لغلبته على النصّ الرّحليّ، كان يقوم أحيانًا مقام السّرد. ولم يكن الوصف في الرّحلة لِذاتِه، وإنّما أدّى وظائف تُهِمّ المتلقّي وتدمجه في البرامج الوصفيّة، ومن أبرز هذه الوظائف الوظيفة التّزيينيّة، والوظيفة القيميّة، والوظيفة المعرفيّة، والوظيفة التّصويريّة.

الخلاصة: بيّن البحث أنّ الوصف يشكّل عنصرًا أساسيًّا في النصوص الرحليّة التراثيّة، وأنّه يعبّر عن رؤى الرحّالة وانفعاله بما يشاهده. استنتج أنّ هذا الوصف بحاجة إلى دراسات جديدة في ضوء الدراسات السرديّة الحديثة.

الكلمات الدالة: نثر عربيّ قديم، أدب رحلات، ابن جبير، الوصف، فيليب هامون.

أوّلا- تمهيد:

يَحْضُرُ الوصفُ في الخطاب على نحوٍ مكثّفٍ، فهو موجود في" الكلام الشفويّ وفي المكتوب، ويصادفه القارئ في الخطابات الأدبيّة والقضائيّة والسياسيّة والعلميّة والإشهاريّة وغيرها، ويُعثر عليه في أرقى أنواع الكلام وفي أبسط المحادثات اليوميّة"(العمامي،2010، ص 55). ويتميّز الوصفُ بحضوره في الخطاب الأدبيّ القديم، إذ كان عند العرب أداة من أدوات الإنشاء الأدبيّ تحضر في الخطابات في صور مختلفة.(رحيمة،2010، ص2) وتحدّث النقّاد القدماء عن الوصف وأهمّيته، ورأوا أنّه "تشخيصٌ للشّيْء الموصوف ونقلٌ لصورته، حتّى يُداخلَ السّامعَ شعورٌ بأنّه ماثِلٌ أمامه، يشاهده عينيًّا".(العجيمي،2003، ص93) وذهب ابن رشيق القيروانيّ إلى أنّ " الشّعرَ إلّا أقلّه راجع إلى الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه"(،(القيرواني،1981، ص204)، وقدّم قدامة بن جعفر تعريفًا بيّن فيه طبيعة الوصف، فذكر أنّ "الوصفَ ذِكْرُ الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات" (جعفر،د.ت،ص130). ورأى أبو هلال العسكريّ إلى أنّ أجودَ الوصف ما يستوعب أكثر معاني الموصوف، حتّى كأنّه يُصوّرُ الموصوفَ لكَ فتراه نُصْبَ عينيك" (العسكريّ،د.ت، ص145). وما سبق يعني أنّ النقّاد القدماء عدُّوا الوصف معيارًا من معايير الشّعريّة، وارتبط بحقيقة الموصوفات، وبالصّفة الّتي تتبعُ الموصوفَ، والتمثيل بالحسّ من أجل أن يستحضر السّامعُ الشيءَ، ويتحوَّل الموصوف من شيء مادّيّ مرجعيّ إلى شكل فنيّ ذي تمثّلٌ لغويّ (الديوب،2019، ص118).

وقد فصّل النقّادُ المحدثون القول في الوصف، ونظروا إليه على أنّه أسلوب من أساليب القصّ، وأنّه نشاطٌ فنيٌّ يُمَثِّلُ باللغةِ الأشياء والأشخاص والأمكنة. (القاضي،2010، ص472) وبدأ الدّرس الجادّ له في النّقد الحديث بعد أن نشر (فيليب هامون) كتابه (في الوصفيّ) عام 1981، وبعد دراسات (جيرار جينيت)، وظهور ما عُرفَ بتيّار اللسانيّات الحديثة، "حيث نَظَرَ إليه هؤلاء على أنّه مكوّن من مكوّنات الخطاب، وأنّه وحدة نصيّة متمتّعة بكيان خاصّ، ولها اشتغال داخليّ وبنية ووظائف مخصوصة. (العمامي،2010، ص28).

ولعلّ ما كتبه (فيليب هامون) في كتابه(في الوصفيّ) يعدّ من أكثر الكتب تفصيلًا في مبحث الوصف، إذ رام إعداد شعريّة أو سيميائيّة له، وبيّن أنّ الوصفَ إحدى الوظائف الأدبيّة الّتي لا محيد عنها، وأنّه يشكّل الأداة الأساسيّة لتمثيل الأشياء، وتحدّث بالتّفصيل عن التقنيات الجزئيّة لبناء الوصف، والملفوظ الوصفيّ وبنائه النّظريّ، ونظام تشكّله، كما تحدّث عن وظائفه، وبيّن العلاقة بينه وبين السّرد وفرّق بينهما[1].

وقد تأثّر بعض الدّارسين العرب بما كتبه (فيليب هامون) ومن أشهر هؤلاء محمّد نجيب العمامي في كتابه (الوصف في النصّ السّرديّ بين النظريّة والإجراء)، وتابعَ العماميُّ (فيليب هامون)" في كثير من القضايا النّظريّة الّتي تناولها في كتابه سابق الذّكر، فبحث في منازل الوصف وضوابطها، وأنماطه، ووظائفه، وبنية المقطع الوصفيّ [2].

ومن الكتّاب العرب الّذين تأثّروا بـ(فيليب هامون) وغيرِه الصّادق قسّومة في كتابه (علم السّرد: المحتوى والخطاب والدّلالة)، إذ ضمّنه فصلًا طويلًا[3]عن الوصف تطرّق فيه لجزئيّات كثيرة، ولعلّه رام من ذلك أن يُؤسّس منهجًا لدراسته، كما يُستشفّ من بعض عناوين فصله، مثل: "كيفيّة دراسة الوصف" "تحليل الوصف"، "دراسة كيفيّات الوصف".

ويشغلُ الوصفُ مساحةً واسعة من النّصوص الرحليّة، فهي نصوص تتميّز بـ(التضخّم الوصفيّ) (القاضي،2010، ص340)، وتتضمّن مقاطع وصفيّة كثيرة في بناء تمثُّلات العوالم والأشياء والأشخاص، وتأتي هذه المقاطع مؤطّرة بالسّرد، "فهو الّذي يعرض حركة الذّات المرتحلة في المكان ومشاهداتها، والمشاهد حافزٌ للوصف"(القاضي،2010، ص340). والموصوفات متعدّدة أصنافها في الرحلة، فالذّات المرتحلة تصف المشاهد الطبيعية، والمنشآت والمباني، والإنسان، ومظاهر السلوك البشريّ...وهذا يعني أنّ الوصف في الخطاب الرّحليّ وليدُ الحلول بالمكان.

وقد أجريت دراسات كثيرة حول رحلة ابن جبير[4]، ولم أجد –في حدود ما اطّلعت عليه منها- دراسة تناولت الوصف فيها، لذا فإنّ هذه الدّراسة

---

1 -فيليب هامون، انظر فهرس الكتاب.

2 - المرجع السّابق، انظر فهرس الكتاب، ص: 239-240

3 -انظر: الصّادق بن النّاعس قسّومة، علم السّرد(المحتوى والخطاب والدّلالة)، منشورات جامعة لإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، 2009، ص: 347-365

4 - من هذه الدّراسات: حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد،1967، ص: 432، شوقي ضيف، الرحلات، القاهرة، ط1987،4، ص: 70، نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت، 1962،ص: 167-169، نقولا زيادة، روّاد الشّرق العربيّ في العصور الوسطى، بيروت1943، ص: 67-69، زكي محمد حسن، الرحّالة المسلمون في العصور الوسطى، بيروت1981،ص: 70-88، عثمان موافي، لون من أدب الرحلات: دراسة نقديّة، الإسكندرية، 1973، ص: 15، حسني محمود، أدب الرحلات عند العرب، رحلات أمين الرّيحانيّ نموذجًا، عمان، 1995، ص: 16-23؛ حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد138، حزيران، 1989، ص: 144-146، 231؛ إبراهيم عوض، رحلة ابن جبير، دراسة في الأسلوب، القاهرة، 1992، ص: 3، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافيّ العربيّ، ترجمة صلاح الدّين عثمان هاشم، القاهرة، 1965، 1: 300، إبراهيم خليل، أوراق في اللغة والنّقد الأدبيّ، عمّان، 1993، ص:33-34،إحسان عبّاس، دراسة في الرحّالة ابن جبير الأندلسيّ البلنسيّ الكنانيّ وآثاره الشعريّة والنثريّة، بيروت، 2001، ص: 23، عبد الواحد ذنون طه، الرحلات المتبادلة بين المغرب الإسلاميّ والمشرق، بيروت، 2004، ص: 126، فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث

تهدف إلى تحليل الوصف في الرّحلة، متّكئةً على ما شيّده (فيليب هامون) في كتابه (في الوصفيّ)، وما دَرَسَهُ العمامي في كتابه (الوصف في النصّ السّرديّ بين النّظريّة والإجراء). وقد وقع الاختيار على رحلة ابن جبير نظرًا إلى تناسق مادّتها، وتتابع سياقها، وكثرة المقاطع الوصفيّة فيها، وتنوّع موصوفاتها.

ثانيًا-منازل الوصف وضوابطها في رحلة ابن جبير:

كَثرت المقاطع الوصفيّة في رحلة ابن جبير، وتباينت هذه المقاطع في الطول والقصر، وتبوّأت مواضع مختلفة فيها، ولا يجد القارئ صعوبة في تَحديد هذه المقاطع وتمييزها، وَتَوَقُّعِ ظهورها في المتن الرحليّ، ومن أبرز المواضع التي يرد فيها الوصف استهلالات الحديث عن المدن والأماكن، وغالبًا ما يضع ابن جبير عناوين لتمييز هذه الاستهلالات، كما في حديثه عن (منار الإسكندريّة)، فبعد أن ذكرَ هذا العنوانَ شرعَ في وصف هذا المنار وذلك في قوله: " ومن أعظم ما شاهدناه من عجائبها المنار الّذي قد وضعه اللهُ عزَّ وجلَّ على يدَيْ من سخّر لذلك آيةً للمتوسِّمين وهدايةً للمسافرين، لولاه ما اهتدَوا في البحر إلى بَرّ الإسكندرية، يظهر على أزيد من سبعين ميلًا. ومبناه في غاية العتاقة والوثاقة طولًا وعرضًا، يُزاحم الجوَّ سموًّا وارتفاعًا، يقصر عنه الوصف وينحسر دونه الطَّرف، الخبرُ عنه يضيقُ والمشاهدة له تتَّسعُ"(ابن جبير،1980، ص14). وأينما وَجد القارئ مثل هذه العناوين فإنّه يتوقّع ظهورَ الوصف، ولا بأس في أن أضرب مثلًا آخر، من ذلك ما ورد بعد عنوان (ذكر المسجد الحرام والبيت العتيق، كرّمه الله وشرّفه)، فبعد هذا العنوان أخذ ابنُ جبير يصفُ هذا البيت قائلًا: " البيت المكرّم له أربعة أركان. وهو قريب من التّربيع. وأخبرني زعيم الشَّيبيّين آلذين إليهم سدانة البيت، وهو محمد بن إسماعيل بن عبد الرحمن من ذريّة عثمان بن طلحة بن شيبة بن طلحة بن عبد الدار صاحب رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، وصاحب حِجابة البيت: أنّ ارتفاعه في الهواء من الصّفح الّذي يقابل باب الصّفا، وهو من الحجر الأسود إلى الركن اليمانيّ، تسع وعشرون ذراعًا وسائر الجوانب ثمانٍ وعشرون، بسبب انصباب السَّطح إلى الميزاب"(ابن جبير،1980، ص59). وقد استطرد ابن جبير في وصفه هذا فاستغرق ثلاثًا وعشرين صفحة، ولم ينته إلاّ بظهور عنوان آخر، يفتح باب الوصف لموصوفٍ جديد.

وكلّما انتقل ابن جبير من مكان إلى آخر، واجتاز نهرًا، أو عبر حدًّا، أو توقّف عند مَعلَمٍ، أو أُعجبَ بشخصٍ، أو استرعى نظرَه مشهدٌ يراه غريبًا انطلق الوصفُ في رحلته، فعندما صبّح مدينة تكريت عند الفجر استهلّ حديثه عنها بوصفٍ مُسهبٍ لها (ابن جبير،1980، ص208)، وعندما وصل المَوصل عند ارتفاع النّهار كان ذلك فرصة سانحة لوصف المدينة (ابن جبير،1980، ص210)، واسترعى انتباهَه بعضُ المشاهد الغريبة في المدينة، ومن أبرزها موكب الخاتونين فيها، فوجد ابن جبير في ذلك فرصة مناسبة للوصف العجيب. (ابن جبير،1980، ص212)، وكان إعجاب ابن جبير بالملك الناصر صلاح الدين مناسبة ملائمة لإدراج الوصف في سرده الرحليّ.(ابن جبير،1980، ص30)

وثمّة عبارات غالبًا ما تستخدم للتمهيد للوصف، ويكون ظهورها معلنًا عنه، ومن هذه العبارات:

-العبارات الدّالّة على التعجّب والانبهار، كما في قوله: "ومن أعجب ما يُحَدّثُ به في الدُّنيا أنّ قوافل المسلمين تخرج إلى بلاد الإفرنج وَسَبْيُهم يدخلُ إلى بلاد المسلمين، شاهدنا من ذلك عند خروجنا". وقوله: "ومن أحفل المشاهد الدنيويّة المريبة بُروزٌ شاهدناه يوم الأربعاء، ثاني يوم وصولنا المَوصل، للخاتونين: أمّ عزّ الدّين صاحب الموصل، وبنت مسعود المتقدّم ذكرها" (ابن جبير،1980، ص212).

-الفعل (نَزَلَ)، كما في قوله: "وفي عصر يوم الإثنين المذكور نزلنا بقرية تعرف بالقنطرة، كثيرة الخصب، كبيرة الساحة، متدفقة فيها جداول الماء، وارفة الظلال بشجرات الفواكه، من أحسن القرى وأجملها، وبها قنطرة على فرع من فروع الفرات كبيرة محدودبة"(ابن جبير،1980،ص30).

-المصدر(ذِكْر)، كما في قوله: " ذِكْرُ مدينة الكوفة حرسها اللهُ تعالى، هي مدينة كبيرة عتيقة البناء، قد استولى الخراب على أكثرها، فالغامِرُ منها أكثرُ من العامر. ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها، فهي لا تزال تضرّ بها، وكفاك بتعاقب الأيام والليالي مُحييًا ومُفْنِيًا، وبناءُ هذه المدينة بالآجُرّ خاصّة، ولا سورَ لها"(ابن جبير،1980،ص187).

-شِبْهُ الجملة، كما في قوله: "وللبلدةِ ربضٌ كبير فيه المساجد والحمّامات والخانات والأسواق، وأحدث فيه بعض أمراء البلدة...جامعًا على شطّ دجلة"(ابن جبير،1980،ص210).

-أداةُ التّفصيل(أمّا)، كما في قوله: " وأمّا حماماتها فلا تُحصى عِدَّةً، ذكرَ لنا أحدُ أشياخ البلد أنّها بين الشرقيّة والغربيّة نحو الألفي حمّام، وأكثرُها مَطليَّة بالقار، مسطّحة به، فَيُخَيّل للنّاظر أنّه رخامٌ أسودُ صقيلٌ".(ابن جبير،1980،ص19)

- الفعل(شاهد)، كما في قوله: "وشاهدنا بعد ذلك مجالسَ لسواه من وُعّاظِ بغداد ممَّن نستغربُ شأنه بالإضافة إلى ما عهدناه من متكلّمي المغرب".(ابن جبير،1980، ص200).

العربيّ، القاهرة، 2002، ص: 384، نوال الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسيّة والمغربيّة حتّى نهاية القرن التاسع، عمّان، 2008، ص: 62، وجيه عضاضه، الرحلات عند العرب في العصور الوسطى، مجلّة تاريخ العرب والعالم، السّنة الأولى، عدد12، تشرين الأوّل، بيروت1979، ص: 32-33، فلاح شاكر أسود، ابن جبير في رحلته، قراءة في الجوانب الجغرافيّة للرحلة، مجلّة المورد، عدد4، مجلد18، بغداد، 1989، ص: 72.

ثالثًا-العمليّات الوصفيّة في رحلة ابن جبير:

1-التّرْسيخُ:

استخلصَ (هامون) بنيةً أساسيّة للوصف تتكوّن من مُشيرٍ مقاميّ أو تسمية (اسم موصوف) أو (الاسم العلم) المعدّ للوصف، وتوسعةٍ تتمثّل في مخزون من الكلمات المتجاورة، وتردُ التّوسعةُ في شكل قائمة أو تعداد أو بيان للأجزاء القابلة للعزل من الكلّ الواحد، وفي شكل مسانيد. والتّعدادُ ضَرْبٌ من الدّرجة الصفر في الوصف، وهو من أبسط عمليّات الوصف، وأمّا المسانيدُ فهي ضربٌ من الوصفِ المتشعّبِ الممتدّ.(هامون،2003، ص255)

ولا تكاد تخرجُ بنيةُ المقطع الوصفيّ في رحلة ابن جبير عن هذين الضّربين؛ فهو يميل أحيانًا إلى الوصف البسيط الّذي يتّخذ شكلَ القائمة والجَرْد؛ من ذلك وصفُه لأقسام الأوقافِ الّتي خُصِّصَت للرّبوة في مدينة دمشق، يقول:" وللرّبوة المباركة أوقاف كثيرة من بساتين وأرض بيضاء ورِباع. وهي معيَّنة التقسيم لوظائفها. فمنها ما هو معيّن باسم النَّفقة في الأدم للبائتين فيها من الزوّار، ومنها ما هو معيّن للأكسية برسم التّغطية بالليل، ومنها ما هو معيّن للطّعام، إلى تقاسيم تستوفى جميعَ مُؤَنِها"(ابن جبير،1980 ص250)؛ فموضوع الوصف (المشير المقاميّ) مركّب اسميّ هو عبارة (التّقسيم لوظائفها)، ثمّ جاء الوصف لهذه الأقسام على شكل تعداد (فمنها ما هو...ومنها ما هو...ومنها ما هو....إلى تقاسيم)، وهو وصف بسيط غايته استيفاء الأقسام كما هي في الواقع، وإخبار المتلقّي بها.

ويكثر هذا النَّوع من الوصف في رحلة ابن جبير من ذلك قوله: "وسائر الغرباء ممّن ليس على هذه الحال، ممّن عهدَ الخدمة والمهنة، يسبّبُ له أيضا أسباب غريبة من الخدمة. إمّا بستان يكون ناطورًا فيه، أو حمّام يكون عينًا على خدمته، وحافظًا لأثواب داخِليهِ، أو طاحونة يكون أمينًا عليها، أو كفالة صبيان يؤدّيهم إلى محاضرهم ويصرفهم إلى منازلهم، إلى غير ذلك من الوجوه الواسعة."(ابن جبير،1980،ص250)؛ فالمُشير المقاميّ (موضوع الوصف) هو عبارة (أسباب غريبة)، ثمّ جاء الوصفُ يوسّع هذه (الأسباب) عن طريق تعدادها مستخدِمًا أداة التفصيل(إمّا) بهدف ترسيخ الموصوف بربط موضوع الوصف بما هو ثقافيّ مشترك بين الواصف والموصوف له، فعندما نقرأ عبارة (أسباب غريبة) فإنّ المتلقّي يستدعي أسبابًا غريبة بعينها يتوقّع أن يجدها في المقطع الوصفيّ.

ومن هذا الوصف البسيط الّذي يشبه الجردَ والرَّصدَ الموضوعيّ، ويرمي إلى ترسيخ الموصوف في نفس الموصوف له، قول ابن جبير يصف أبوابَ بغداد الشرقيّة: " وللشرقيّة أربعة أبواب: فأوّلها، وهو في أعلى الشطّ، باب السّلطان، ثمّ باب الظّفريّة، ثمّ يليه باب الحلبة، ثمّ باب البصلية"(ابن جبير،1980، ص205)؛ فالطريقة الّتي يرصد بها ابن جبير الموضوع طريقة خطيّة بسيطة تصدق عليها عبارة درجة الصفر في الوصف، وهي تقوم على التنظيم التجريديّ لمنظور الرؤية عن طريق التّعداد، لتلقي على عاتق القارئ إعادة بناء الصورة الكليّة من هذه الأجزاء.

وهذه الطريقةُ في الوصف تربط الموصوف بأفق توقّعات القارئ، بمجرّد ذكر الموصوف في مستهلّ الفقرة الواصفة فإنّه يستدعي لدى القارئ أوصافًا محدّدة مستوحاة من المشترك الثقافيّ بين الذات الواصفة والموصوف له. وأحيانا تكسر الذّات الواصفة أفق التوقّعات تلك، بل لعلّها نفسها لم تكن تألف ما عاينته وهي تتنقّل في مكان ما، ويكون المرئيّ خارج أفق توقّعاتها، فتعبّر عن اندهاشها لما شاهدته واستغرابها له، وتنقل هذه الدهشة والاستغراب إلى المتلقّي نفسه، على شاكلة قوله يصف مدرسة للحنفيّة في حلب: "وهذه المدرسة من أحفل ما شاهدناه من المدارس بناء وغرابة صنعة، ومن أظرف ما يُلحظُ فيها أنّ جدارها القبليّ مفتّحٌ كلُّه بيوتًا وغرفًا ولها طيقانٌ يتّصلُ بعضُها ببعض، وقد امتدّ بطول الجدار عريشُ كرمٍ مثمرٍ عنبًا، فحصل لكلّ طاقٍ من تلك الطيقان قسطها من ذلك العنب متدلّيًا أمامها، فيمدُّ الساكنُ فيها يدَه، فيجتنيه دون كلفةٍ ولا مَشقَّة".(ابن جبير،1980، ص227-228)

فقد استهلّ ابن جبير المقطع الوصفيّ بذكر مرجعه وتسمية موضوعه(مدرسة)، وهذه عمليّة ترسّخ الموضوع وتربطه بما هو ثقافيّ ومشترك بين الواصف والموصوف له(هامون،2003، ص292، العمامي، 2010، ص114)، فيستدعي الموصوف أوصافًا مشتركة متعارفًا عليها من صفات (المدرسة)، بيد أنّ ابن جبير –نظرًا إلى طبيعة ما شاهده من منظر واقعيّ- كَسَرَ أفق توقّعات الموصوف له فجاء بأوصافٍ تبدو مغايرة للمألوف، وهي أوصافٌ ليست من اجتراح مخيّلة الذّات المرتحلة، وإنّما هي أوصافُ حقيقيّة رسمها ابن جبير بعبارة موشّحة بالاندهاش الصريح تارة(وهذه المدرسة من أحفل ما شاهدناه من المدارس بناء وغرابة صنعة)، وبصيغ التفضيل تارة أخرى(أحفل، أظرف).

2-التَّعْيينُ:

وقد يأتي الموضوع أو المشير المقاميّ في نهاية المقطع الوصفيّ، فيغدو الوصفُ بحثًا والموضوع لغزًا أو ما يُشْبِهُ اللُّغْزَ(هامون،2003، ص292، العمامي،2010، ص114)، وبعبارة أخرى فكلّما كان الاسم الموصوف مؤجّلًا إلى نهاية الملفوظ الوصفيّ، نزعت القراءة إلى أن تكون بحثًا...عن الموصوف ذاته(العمامي، 2010، ص118)، وتأخُرُ الاسمِ الموصوف يُحْكِمُ النِّظامَ الوصفيّ ويؤلّفه(هامون،2003، ص293)، وهذا النوع من المقاطع الوصفيّة قليلًا ما ورد في رحلة ابن جبير الّتي مالت إلى الوضوح في الوصف، ومن أمثلته قوله يصف قبّة الرّصاص في المسجد الأمويّ بدمشق: " ومن أعظم ما شاهدناه من مناظر الدّنيا الغريبة الشأن، وهياكلها الهائلة البنيان، المعجزة الصنعة والإتقان، المعترف لوصفها بالتقصير لسان كلّ بيان: الصعود الى أعلى قبة الرصاص" (ابن جبير،1980،ص265)؛ فالمقطع الوصفيّ السابق يعمد إلى وضع أجزاء الموضوع (قبّة الرّصاص) في قالب واحد وفق منظور رؤية الذات الواصفة، وقد حكم الاسم الموصوف مدوّنة وصفيّة اصطلاحيّة متوقّعة ومطابقة للمنظومة الوصفيّة لـ(القبّة) وربطت الذّات الواصفة بين الأوصاف

وصولًا إلى تعيين الموضوع الموصوف، وفي هذه الطريقة قدر من التّشويق، لأنّ الموصوف له تتشوّف نفسه من خلال تتابع الصّفات إلى معرفة ذلك الموصوف. وجاء الوصف في الفقرة السابقة وصفًا انفعاليًّا، وتمثّل هذه الانفعال في الدوالّ المفردة التي استخدمها الواصف (الهائلة، المعجزة، المعترف لها بالتقصير)، لذا لم نجد في الفقرة أوصافًا معماريّة محدّدة لـ(أعلى القبّة)، ولعلّ هذا يعود إلى موقع الرّائي من موضوع رؤيته، وبعد المسافة بينه وبين ما يصفه.

وثمّةَ فقرات في المتن الرّحليّ يكون فيها تحديد موضوع الوصف أمرًا إشكاليًّا، كما في قول ابن جبير: "وَأَحْدَقَ بِشُرِفَات الحرم كلِّها صبيانُ مكّة، وقد وُضعت بيد كلّ واحدٍ منهم كرةٌ من الخِرَقِ المُشبعةِ سليطًا، فوضعوها مُتَّقِدةً في رؤوس الشُّرفات، وأخذت كلُّ طائفةٍ منهم ناحيةً من نواحيها الأربع، فجعلتْ كلُّ طائفة تُبارِي صاحبتَها في سرعة إيقادها، فَيُخَيَّلُ للنّاظر أنّ النّارَ تَثِبُ مِن شُرفةٍ إلى شرفة لِخفاء أشخاصهم وراء الضَوْءِ المرتعي الأبصار. وفي أثناء محاولتهم لذلك يرفعون أصواتهم بيا رَبّ يا رَبّ على لسانٍ واحدٍ، فَيَرْتَجّ الحَرَمُ لأصواتهمْ"(ابن جبير،1980،ص131)، وكما في قوله يصف مشهدًا رآه في دمشق: "ولأهلِ دمشق وغيرها من هذه البلاد في جنائزهم رُتبةٌ عجيبة، وذلك أنّهم يمشون أمام الجنائز بقرّاء يقرأون القرآن بأصواتٍ شجيّة، وتلاحينَ مُبْكِيَةٍ، تكاد تنخلعُ لها النّفوس شوقًا وحنانًا، يرفعون أصواتهم بها، فتتلقّاها الآذان بأدمع الأجفان" (ابن جبير،1980،ص267)؛ فالقراءة الأولى تشير إلى أنّ موضوع الوصف المرسّخ هو (أهل دمشق)، وهذا ما تشي به العبارة الواصفة (في جنائزهم رتبة عجيبة) وهي تتعلّق (بأهل دمشق)، بيد أنّ الحيّز النصيّ المخصّص لـ(جنائزهم) قد يجعلها الموضوع الرئيس للوصف.

3-تَحْديدُ المظاهر:

مِن العمليّات الأساسيّة في الوصف تحديدُ المظاهر، "والمقصود بالمظاهر هو خاصيّات الموصوف وعناصره"(العمامي،2010، ص123)، ويتمثّل ذلك في عمليّتين فرعيّتين هما:

أ-إبراز الخاصيّات: وَيُقْصَدُ بالخاصيّات في العمليّة الأولى أشكال الموصوفات، وألوانها وأحجامها وأبعادها وكمّياتها وهيئاتها وغيرها... (العمامي،2010، ص123). وقد شغل المكان بتجلّياته المتنوّعة الذّات المرتحلة في رحلة ابن جبير، وكان للطبيعة حضورٌ واضح في الرّحلة، فاهتمّ بالمياه والأشجار والمناخ وتضاريس الأرض... ولا أروم هنا أن أستقصي هذه الموصوفات، وإنّما الهدف بيان الطريقة الّتي كان يتّبعها ابن جبير في الحديث عن خاصيّات الطبيعة الموصوفة.

لقد كانت عمليّة إبراز الخاصيّات هي العمليّة الأثيرة لدى ابن جبير حين يصف الطبيعة، وقد تأتي هذه العملية بسيطة مقصورة على عنوان الوصف، كما في قوله يصف مدينة (قِفْط) في مصر: "ومنها قفط، وهي مدينة بشرقيّ النيل، وعلى قدر ثلاثة أميال من شطّه، وهي من المدن المذكورة في الصعيد حسنًا ونظافَة بنيان وإتقان صنعة"(ابن جبير،1980،ص40). وقد يطول الوصفُ ويظلّ ابن جبير ممسكًا بالموضوع العنوان دون أن يستطرد إلى أجزائه أو متعلّقاته، كما في قوله يصف مدينة (عيذاب) على ساحل البحر الأحمر:" وهي مدينة على ساحل بحر جدّة غيرُ مُسوَّرة، أكثرُ بيوتها الأخصاص، وفيها الآن بناء مُسْتَحْدَثٌ بالجصّ. وهي من أحفل مراسي الدّنيا بسبب أنّ مراكب الهند واليمن تحطّ فيها وتقلع منها زائدًا إلى مراكب الحُجّاج الصّادرة والواردة. وهي في صحراء لا نباتَ فيها، ولا يُؤكل فيها شيءٌ إلّا مجلوب، لكنَّ أهلها بسبب الحجّاج تحت مرفقٍ كثيرٍ ولا سيّما مع الحاجّ، لأنّ لهم على كلّ حِمْلِ طعامٍ يجلبونه ضريبةً معلومة خفيفة المؤونة، بالإضافة إلى الوظائف المكوسيّة الّتي كانت قبل اليوم الّتي ذكرنا رَفْعَ صلاحِ الدّين لها، ولهم أيضًا من المرافق من الحاجّ إكراءُ الجِلاب منهم وهي المراكب، فيجتمع لهم من ذلك مالٌ كثير في حَمْلهم إلى جَدّة وَرَدِّهِمْ وقتَ انفضاضهم من أداء الفريضة، وما من أهلها ذوى اليسار إلّا مَنْ له الجَلْبةُ والجَلْبتان، فهي تعود عليهم برزقٍ واسع. فسبحان قاسم الأرزاق على اختلاف أسبابها لا إله سواه"(ابن جبير،1980،ص45).

وقد يلجأ ابن جبير إلى المماثلة لإبراز خاصيّات الموصوف، وتكون هذه المماثلة عن طريق التشبيه، من ذلك قوله يَصِفُ بَياضَ قَصْرِ (غليام) ملك صقليّة: "وله بمسّينة قصر أبيض كالحمامة مطلٌّ على ساحل البحر"(ابن جبير،1980،ص298). وتكرّر الّتشبيه بالحمامة في البياض مرّة أخرى في وصفه مدينة (أطرابنش) في صقلّية)، وذلك إذ يقول:" هي مدينة صغيرة السّاحة، غير كبيرة المساحة، مسوّرة بيضاء كالحمامة"(ابن جبير،1980،ص308). ومن التّشبيهات التي استخدمها ابن جبير لإظهار هيئة الموصوف قوله يصف منارة القرون على الطريق إلى الكوفة، فيشبّهها بعمود مخروط من الآجرّ، وَبِظَهْرِ ذَكَرِ القنافذ. يقول: "ثمّ نزلنا ضحوة اليوم المذكور بمنارة تُعرف بمنارة القرون، وهي منارة في بيداء من الأرض كأنّها عمودٌ مخروط من الآجرّ...ومن عجيب أمرها أنّها مجلّلة كلّها قرون غزلان مثبّتة فيها، فتلوح كظهر الشّيْهَم..."[5](ابن جبير،1980، ص186-196)

ب- التَّشْظِيَةُ: وهي أن يَصِفَ الموضوع العنوان، ثم يصف أحد عناصره، ثمّ يستطرد إلى متعلّق من متعلّقات هذا العنصر الجديد وهكذا...[6](العمامي،2010، ص124، هامون،2003، ص121). وهذه الطريقة في الوصف شائعة في رحلة ابن جبير، وهي الطريقة الأثيرة لديه. وقد سلك ابن

5 - وللاستزادة انظر: ابن جبير: ص 192-194.

6 -ا استعمل فيليب هامون الجزئيّة بدلًا من التّشظية.

جبير في ذلك صورًا متعدّدة؛ فقد يبدأ بذكر الموضوع الرئيس ثمّ يصفه، ثمّ يذكر مكوّنًا واحدًا أو مكوّنين اثنين فقط من مكوّناته ويصفهما، فتأتي الفقرة الوصفية بسيطة لا استطراد فيها، من ذلك قوله: يصف مدينة بانياس:" هذه المدينة ثغر بلاد المسلمين، وهي صغيرة، ولها قلعة يستدير بها تحت السور نهر، ويفضي إلى أحد أبواب المدينة، وله مصبّ تحت أرحاء" (ابن جبير،1980،ص273)؛ فالموضوع الموصوف أو العنوان المرسّخ هو (هذه المدينة)، ثمّ تشظّى العنوان إلى موصوف آخر (قلعة)، وَاشْتُقّ من الموصوف الثانيّ موصوفٌ ثالث(نهر).

وقد يتشعّبُ الوصفُ فيتجزّأ الموضوعُ إلى عناصر كثيرة تتّصل به بسبب لفظيّ أو معنويّ، من ذلك قول ابن جبير يصف جامعين في مدينة الموصل:" وللمدينة جامعان: أحدهما جديد، والآخر من عهد بني أميّة، وفي صحن هذا الجامع قبّة، داخلها سارية رخام قائمة، وفي أعلاها خصّةُ رخامٍ مثمّنة يخرج عليها أنبوب من الماء خروج انزعاجٍ وشدّة، فيرتفع في الهواء أزيد من القامة كأنّه قضيب من البلّور معتدل، ثمّ ينعكس إلى أسفل القبّة".(ابن جبير،1980، ص211)

فمخطّط مسار الوصف في الفقرة السابقة كان كما يأتي: جامعان (الموضوع العنوان)⇐الآخر⇐ صحن⇐ قبّة⇐ سارية⇐ خصّة⇐ أنبوب⇐ قضيب من البلّور. فقد اختفى الموضوع العنوان(جامعان) بمجرّد ذكره، وقُصر الوصف على جامع واحدٍ(الآخر..)، ثمّ اختفى(الآخر) بمجرّد ذكره كذلك، ولم يعد يظهر في السياق، وتحوّل إلى أجزاء: صحن، قبّة، سارية، خصّة، أنبوب، قضيب من البلّور، وكان كلّ جزء يوصف بجملة وصفيّة بسيطة.

ولا ريب في أنّ هذه الطريقة في الوصف أدّت إلى امتداد الفقرات الوصفيّة في رحلة ابن جبير، بحيث تطول على نحو ملحوظ ولا سيّما عندما لا تكون التجزئة مقصورة على تفريع العناصر وحسب، وإنّما تمتدّ لإبراز خاصيّات كلّ عنصر من هذه العناصر كما في المثال السّابق، وكما في الفقرة التّالية: "وأسواق هذه البلدة من أحفل أسواق البلاد وأحسنها انتظامًا وأبدعها وضعًا، ولا سيّما قيساريّاتها، وهي مرتَفِعاتٌ كأنّها الفناديق مثقّفة كلّها بأبواب حديد كأنّها أبواب قصور، وكلّ قيساريّة مفردةٌ بضبّتها وأغلاقها الجديدة. ولها أيضًا سوق، يعرف بالسوق الكبير، يتّصل من باب الجابية إلى باب شرقيّ، وفيه بيت صغيرٌ جدًّا قد اتُّخذ مصلّى، وفي قبلته حجرٌ يُقال إنّ إبراهيم-صلّى الله عليه وسلّم-كان يكسر عليه الآلهة الّتي كان يسوقها أبوه للبيع". (ابن جبير،1980،ص261).

فقد جاء عنوان الوصف (أسواق البلد) في رأس الفقرة، ثمّ تشظّى هذا العنوان إلى عناوين فرعيّة ترتبط به بسبب، كما يظهر ممّا يأتي: "وأسوق هذه البلدة(موضوع-عنوان) من أحفل أسواق البلاد وأحسنها انتظامًا وأبدعها وضعًا، ولا سيّما قيساريّاتها(عنصر=موضوع-عنوان فرعيّ)، وهي مرتَفِعاتٌ كأنّها الفناديق مثقّفة كلّها بأبواب(عنصر العنصر"قيساريّاتها"-موضوع- عنوان فرعيّ) حديد كأنّها أبواب قصور، وكلّ قيساريّة(عنصر=موضوع-عنوان فرعيّ) مفردةٌ بضبّتها وأغلاقها الجديدة. ولها أيضًا سوق(عنصر=موضوع عنوان فرعيّ) يعرف بالسوق الكبير، يتّصل من باب الجابية إلى باب شرقيّ، وفيه بيت صغيرٌ جدًّا(عنصر=موضوع-عنوان فرعيّ) قد اتُّخِذَ مُصلّى(عنصر=موضوع-عنوان فرعيّ)، وفي قبلته حجرٌ(عنصر العنصر"مصلّى"=موضوع-عنوان فرعيّ) يُقال إنّ إبراهيم-صلّى الله عليه وسلّم-كان يكسر عليه الآلهة(عنصر=موضوع-عنوان فرعيّ) الّتي كان يسوقها أبوه للبيع".(ابن جبير،1980،ص262).

فقد تشظّى موضوع الوصف إلى أجزاء تتّصل به بسبب، وطال الوصفُ حتّى اختفى الموضوع الرئيس ونُسي؛ فأسواق البلد التي كانت تشكّل، كلًّا واحدًا باعتبارها الموضوع الرّئيس، غَدَتْ في الفقرة بفعل عمليّة التجزئة أو التشظّي عناصر متعدّدة (أسواق البلد: قيساريّات، وأبواب حديد، وسوق، وبيت صغير، وحجر). وتحوّلت هذه العناصر نفسها عناوين أو موضوعات فرعيّة تُحدّد مظاهرها بذكر خاصيّاتها(العمامي،2010، ص174). ويلاحظ أنّ الامتداد الوصفيّ كان بسبب تجزئة موضوع الوصف-كما ذكرت- وليس بسبب تفريع الخاصيّات وهو وصف قائم على تحديد المظاهر والخاصيّات.

ويلاحظ ممّا سبق أنّ عمليّة تحديد المظاهر بإبراز الخاصيّات والتّشظية عمليّة أساسيّة في الوصف في رحلة ابن جبير، سواء أكان الوصف في كلمة واحدة أم في جملة، أم في فقرة ممتدّة. " وبما أنّ الخاصيّة لا يمكن أن تتفرّع إلى خاصيّات ثانويّة، فإنّ أصل الامتداد الوصفيّ هو تجزئة العناصر أو تشظيتها"(العمامي، 2010، ص124)، ويحدث ذلك بتحويل عناصر الموضوع إلى عناوين فرعيّة تحدّد مظاهرها بذكر خصائصها وعناصرها، وبتحويل هذه العناصر إلى عناوين أو موضوعات فرعيّة...

4-إعادة الصياغة:

وقد تطول الجملة الوصفيّة أو المقطع السّرديّ، فيُعاد العنوانُ المرسَّخُ أو الموضوعُ سواء أكان رئيسيًّا أم فرعيًّا مرّة أخرى بصيغة جديدة(القاضي، 2010، ص298) درجَ المقطع أو في نهايته، حفاظًا على تماسك الفقرة وانسجامها، كما في الفقرة التّالية: "ونزلنا ليلة الخميس الثالث عشر لمحرّم، وسادس يوم رحيلنا، على ماء يُعرف بالقارورة، وهي مصانع مملوءة بماء المطر، وهذا الموضع هو وسط أرض نجد"(ابن جبير،1980، ص181-182)؛ فالموضوع المرسّخ هو (ماء القارورة)، وقد طال المقطع الوصفيّ فأعاد الواصف ذكر الموضوع مرّة بالضّمير(هو)، ومرّة بكلمة(الموضع). ومن ذلك: "ومن عجيب أمر حال الصّغير عندهم والكبير، بجميع هذه الجهات كلّها، أنّهم يمشون وأيديهم إلى الخلف قابضين بالواحدة على الأخرى، ويركعون للسّلام على تلك الحالة المشبّهة بأحوال العناة مهانةً واستكانةً، كأنّهم قد سيموا تعنيفًا وأُثِقوا تكتيفًا، وهم يعتقدون تلك الهيئة لهم تميزًا لهم في ذوي الخصوصيّة وتشريفًا، ويزعمون أنّهم يجدون بها نشاطًا في الأعضاء، وراحة من الإعياء"(ابن جبير،1980، ص269)؛ فالموضوع المرسّخ في الفقرة المصدر المؤوّل من جملة (أنّهم

يمشون) "مشيهم"، وقد أعيد ذكره بصياغة جديدة في عدّة مواضع: (تلك الحالة)، (تلك الهيئة)، بالإضافة إلى الضمير في (بها). وهذه الإعادة أشبه ما تكون بالواصلات الوصفيّة الّتي تخلّص الجملة من ركاكة التّكرار، وتُكسب المقطع الوصفيّ اتّساقًا وانسجامًا.

5-عمليّة التّعليق: "وهي عمليّة اختياريّة تسمح للواصف بإقامة علاقة بين الموصوف والمكان أو الزّمان"(العمامي،2010، ص127) وبربط الصّلة بينه وبين ما يحيط به من أشياء عن طريق المماثلة سواء كانت تشبيهًا أم استعارة(القاضي،2033، ص398). وقليلًا ما نجد هذه العمليّة بحدّيها المكانيّ والزّمانيّ في رحلة ابن جبير، ومن الأمثلة على ذلك هذا المقطع الّذي تنزّل فيه الموصوف المرسّخ في المكان أوّلًا وفي الزّمان ثانيًا: " والمؤذّنُ الزَّمزميُّ يتولّى التسحير في الصَّومعة الّتي في الرّكن الشرقيّ من المسجد بسبب قربها من دار الأمير، فيقوم في وقت السّحور فيها داعيًا ومذكّرًا ومحرّضًا على السّحور، ومعه أخوان صغيران يجاوبانه ويُقاولانه، وقد نُصبت في أعلى الصّومعة خشبةٌ طويلة في رأسها عودٌ كالذّراع، وفي طرفه بَكَرَتَانِ صغيرتان يُرْفَعُ عليهما قنديلان من الزُّجاج كبيران لا يزالان يَقِدَان مدّة التَّسحير. فإذا قَرُبَ تَبيينُ خطِّ الفجر، ووقع الإيذانُ بالقطع مرّة بعد مرّة حَطَّ المؤذِنُ المذكور القِنديلين من أعلى الخشبة، وبدأ بالأذان، وَنَوَّبَ المؤذّنون من كلّ ناحية بالأذان".(ابن جبير،1980، ص123)

فالوصف في المقطع وصفٌ واقعيّ يقوم على تمثيل الواقع تمثيلًا أمينًا، وهو وصفٌ واعٍ مقصودٌ، فيه قدر من الجهد الّذي بذله الواصف حتّى يستقيم الوصف وحدةً نصيّةً متمتّعة باستقلال نسبيّ. فالموضوع المرسّخ (المؤذّن الزّمزمي) يوصف من خلال تنزّله في المكان(الصّومعة) وتنزّله في الزّمان (وقت السّحور). وقد تضافرت عوامل عديدة ليكون المقطع مُتَّسِقًا مُتماسكًا، ومن هذه العوامل وحدةُ الموضوع(العنوان)، وتكرارُ عناصره ومتعلّقاته، والتفريعُ الموضوعيّ، وعمليّتا التعليق المكانيّ والزمانيّ، وتحديد المظاهر وما يترتّب عليها من علاقة احتواء كليّ للموضوع المرسّخ.

وقد يكون التّعليق عن طريق القياس باستخدام إحدى الأساليب المجازيّة كالتّشبيه والاستعارة(هامون، 2003، ص121) حيث يُربط فضاءان مختلفان دلاليًّا في سياق مقطع وصفيّ واحد، وهو نظام وصفيٌّ متكاملٌ قابل للتّوسعة. وتكثر مثل هذه الأوصاف في الدّيباجات الّتي كان يستهلّ بها ابن جبير حديثه عن المدن، أو عندما تجيش نفسه بالانفعال في موقف ما. من ذلك الوصف الّذي جاء في مفتتح حديثه عن مدينة دمشق: " جنّة المشرق، ومطلع حسنه المؤنق المُشرق، وهي خاتِمة بلاد الإسلام الّتي اِسْتَقْرَيْناها، وعروسُ المدن الّتي اِجْتَلَيْنَاها، قَد تَحَلَّتْ بِأزاهير الرّياحين، وَتَجَلَّتْ في حُلَلٍ سندسيَّة من البساتين، وَحَلَّت مِنْ موضوع الحُسْنِ بالمكان المكين، وَتَزَيَّنَت في مَنَصَّتِها أجملَ تزيين، وَتَشَرَّفَت بأن آوَى اللهُ تعالى المسيحَ وأمَّه، صلّى الله عليهما، منها إلى رَبْوَةٍ ذات قرارٍ وَمَعين، ظِلُّ ظليل، وماءٌ سلسبيل، تنسابُ مَذانِبُهُ انسيابَ الأراقم بِكُلِّ سبيل، ورياض يُحيي النّفوسَ نسيمُها العليل، تَتَبَرَّجُ لناظريها بِمُجْتَلًى صقيل، وتناديهم :هَلُمُّوا إلى مُعْرَسٍ للحُسْنِ وَمَقيل. قد سَئِمتْ أرضُها كثرةَ الماء حتّى اِشتقاتْ إلى الظماء، فتكادُ تناديك بها الصُّمُّ الصِّلاب: اركضْ بِرِجْلك هذا مغتسلٌ باردٌ وشَراب؛ قد أحدقت البساتينُ بها إحداق الهالة بالقمر واكتنفتها اكتناف الكِمامةِ للزّهَر".(ابن جبير،1980، ص234)

فالنَّصُّ دفقٌ من التّشابيه والاستعارات والنّعوت والتّناصّات والألفاظ الموحية، وَتُشَكِّلُ هذه النّسيجَ الأساسيّ لهذا الوصف المدحيّ. وهذا يستدعي من المتلقّي نشاطًا تأويليًّا منتجًا للمعنى من خلال تبيان العلاقة بين التخييل والصّورة الفنيّة، أعني العلاقة بين مرجعيّة الصورة والصورة المتمثّلة في الخطاب.

ومن التّعليق عن طريق القياس قول ابن جبير يصف الليلة الأولى لدخوله المسجد الحرام، فجاشت نفسه بالمشاعر: "فيا لها ليلة كانت في الحُسن بيضةَ العُقْر، فهي عروس ليالي العُمر، وَبِكرُ بُنيَّاتِ الدّهر"...فألفينا الكعبة الحرام عروسًا مجلوَّة مزفوفة إلى جنّة الرّضوان، محفوفة بوفود الرّحمن"[7].(ابن جبير،1980، ص58)

رابعًا-أساليب الوصف في رحلة ابن جبير:

1-الوصفُ عن طريق القَوْلِ: ولا تَصِفُ الشخصيّةُ الواصفة في هذا النّمط مشهدًا تراه لحظة الوصف، وإنّما تستدعي من ذاكرتها مشهدًا أو منظرًا سبق أن رأته، أو سمعت عنه، وتتحدّث عنه لإنسان آخر، وهذ النّمط من الوصف يستدعي أن تكون الشخصيّة الواصفة على معرفة بموضوع وصفها، وتمتلك المعجم اللغويّ للتّعبير عن الموصوف، وغالبًا ما يكون الموصوف له ذا معرفة محدودة بالموضوع (العمامي، 2010، ص74)، من ذلك وصفه لإيرادات مسجد عمرو بن العاص في مصر؛ يقول: "وَذُكِرَ لنا أنّ لجامعِ عمرو بن العاص بمصر من الفائد نحوَ الثلاثين دينارًا مصرية في كلّ يوم تتفرّقُ في مصالحه ومرتّبات قَوَمَته وَسَدَنَته وأئمته والقُرّاء فيه"(ابن جبير،1980، ص24).

فهذا الوصف قولٌ على قول، وليس وصفًا لمشهدٍ تعاينه الذّات الواصفة لحظة الوصف، وجلُّ ما قامت به أن أعادت صياغة ما ذُكِرَ لها عن المسجد، ويقوم ابن جبير هنا بدور العليم الذي يخبر غيره ببعض صفات المسجد ليس غير.

ومن هذا النّمط من الوصف ما ذكره ابن جبير عن أحوال المغاربة في مسجد ابن طولون، فهو لم يعاين ما يصفُ، وإنّما سمع عنه سماعًا، يقول: " ومن أعجب ما حَدَّثنا به أحدُ المتخصّصين منهم أنّ السلطان جعل أحكامهم إليهم ولم يجعل يدًا لأحد عليهم. فقدّموا من أنفسهم حاكمًا يمتثلون أمره ويتحاكمون في طوارىء أمورهم عنده، واستصحبوا الدَّعة والعافية، وتفرّغوا لعبادة ربِّهم"(ابن جبير،1980، ص26).

7 - وللاستزادة انظر: انظر: ابن جبير: ص: 64.

وواضح أنّ هذا النّوع من الوصف تغلب عليه النزعة التقريريّة الإخباريّة، وكأنّ غاية الذّات الواصفة أن تخبرَ الموصوف له بما ورد في سياق الوصف من معلوماتٍ عجيبة.

وَتَكْثُرُ في هذا النوع من الوصف الأفعال المبنيّة للمجهول، مثل: وذُكِر لنا أنّ بالجيزة..."، و"يُذكَرُ..." و"يُقالُ..."، و"نُهِيَ لنا..."(ابن جبير،1980، ص30)، أو الفعل قرأ، مثل " وقرأتُ في أخبار مكّة:"(ابن جبير،1980، ص85)، أو فِعْلي اليقين "أخبر وأعلم"، مثل: وأخبرني زعيم الشّيبيّين"(ابن جبير،1980، ص59)، "وأعلمنا صاحبُ القبّة..."(ابن جبير،1980، ص80)

2-<u>الوصف عن طريق الفعل:</u> ويقوم هذا الوصف على أساس(النّظام والحركة) (العمامي،2010، ص77)، وما يترتّب عليهما من الانسجام والحركيّة أو الوحدة والتنوّع، حيث تتعاقبُ سلسلةٌ من الأفعال لوصف شيء ما أو ظاهرة ما. وللوصف بالفعل صورٌ متعدّدة؛ فقد يأتي الوصف بالفعل بصيغة بسيطة فيكون بفعل مفرد، والأمثلة على ذلك وفيرة في رحلة ابن جبير، أكتفي بذكر عدد منها:

الفعل	التركيب
<u>هالَ</u>	وقام علينا نَوْءٌ هال له البحر.(ابن جبير،1980، ص9)
<u>يُباعون</u>	فأعلمنا أنّه رأى جملة من أسرى المسلمين يُباعون في الأسواق.(ابن جبير،1980، ص9)
<u>لم يستصحبوا</u>	وكان أكثرهم مشخصين لأداء الفريضة لم يستصحبوا سوى زادٍ لطريقهم.(ابن جبير،1980، ص13)
<u>يأوي</u>	فيلقى كلُّ واحدٍ منهم مسكنا يأوي إليه.(ابن جبير،1980، ص15)
<u>بُنِيَ</u>	وهو في تابوت فضّة مدفون تحت الأرض قد بُنِيَ عليه بنيانٌ حفيلٌ.(ابن جبير،1980، ص19)
<u>يُنْقَرُ</u>	وهو خندق يُنْقَرُ بالمعاولِ نَقْرًا.(ابن جبير،1980، ص25)
<u>تأتي</u>	وأخذوا أيضًا في البرّ قافلة كبيرة تأتي من قوص إلى عيذاب.(ابن جبير،1980، ص34)
<u>يحملونه</u>	لأنّ لهم على كلّ حِمْلِ طعامٍ يحملونه ضريبةً معلومة.[8](ابن جبير،1980، ص45)

وقد يتتابع عدد من الأفعال في سياق واحدٍ والموصوفُ واحد، كما في هذا المقطع الّذي يصف فيه ابنُ جبير ما كان يفعله بعضُ الحجّاج الّذين اِبْتَلّتْ ملابسُهم من ماء المطر الذي كانوا يتلقّونه تحت ميزاب الكعبة: " وكان بعض الحجّاج المُتَأخّرين المُشفقين يبلُّ ثوبَه بذلك الماء المبارك، ويخرج إليهنّ، ويعصره في أيدي البعض منهن، فيتلقّينه شُربًا ومسحًا على الوجوه والأبدان"(ابن جبير،1980، ص95)؛ فالأفعال (يبلّ، يخرج، يعصره) تصف سلسلة من الأعمال الّتي كان يقوم بها هؤلاء الحجّاجُ المتأخّرون. وقد تأتي الأفعال المتتابعة لوصف هيئة ما، أو حالة ما، كما في وصف الرّائي الواصف لهيئة مشي أهل دمشق وطريقة مصافحتهم، وذلك إذ يقول: " ومن عجيب حال الصغير عندهم والكبير، بجميع هذه الجهات كلّها، أنّهم يمشون وأيديهم إلى خلف قابضين بالواحدة على الأخرى، ويركعون للسّلام على تلك الحالة المشبّهة بأحوال العُناة مهانةً واستكانةً"(ابن جبير،1980، ص269). ومن الأفعال الّتي تتابع لوصف هيئة ما، قول ابن جبير يصف خروج النصرانيّات يومَ الميلاد في حاضرة صقلية: " خرجْن في العيد المذكور، وقد لبسنَ ثياب الحرير المُذْهَب، والتَحَفْنَ اللّحفَ الرّائقة، وانتقبن بالنُّقُبِ الملوّنة، وانتعلنَ الأخفاف المُذهبة. وبَرَزْنَ لكنائسهن أو كُنُسِهن حاملاتٍ جميع زينة نساء المسلمين من التحلّي والتخضُّب والتعطُّر"(ابن جبير،1980، ص307). والوصف هنا من النّوع البسيط الّذي يُقدَّم من خلال جملة فعليّة وصفيّة قصيرة، لا نجد فيها فضلات أو استطرادت، بيد أنّ تتابع الأفعال يرسم مشهدًا كليًّا لهؤلاء النّسوة في عيدهن، ويشفّ بالّتعاون مع المحدّدات الوصفيّة الأخرى (المُذهب، المُذهبة، الملوّنة، التَّحلّي، التَّعطّر، التَّخضُّب) عن المستوى الاجتماعيّ لهنّ. وقد اتّخذ هذا الوصف صيغة الانتقال من العموم إلى الخصوص، أو من الكلّ إلى الجزء؛ فبدأ بالهيئة العامّة (لبس الثياب)، وانتقل إلى التّفاصيل من أعلى إلى أسفل (التحفن، انتقبن، انتعلن). وقد يأتي الوصفُ بالفعلِ محمّلًا بالانفعالات الدّاخليّة للذّات الواصفة، ومعبّرًا عن رؤاها وأفكارها الذّاتيّة، كما في قول ابن جبير يصف مدينة (عكّة) المحتلّة:" سِكَكُها وشوارعها تغصُّ بالزّحام، وتضيق فيها مواطئ الأقدام، تستعر كفرًا وطغيانا، وتفور خنازير وصلبانا، زَفِرَةٌ قَذِرَةٌ، مملوءةٌ كلُّها رِجْسًا وَعَذِرَة "(ابن جبير،1980، ص277).

ومن مخطّطات الوصف بالفعل وصفُ إنجازِ عمل ما، كما في وصف طريقة أهل عيذاب في استخراج اللؤلؤ من البحر: "والمَغاصُ منها قريبُ القَعْرِ ليس ببعيد، ويستخرجونه في أصداف لها أزواجٌ كأنّها نوعٌ من الحِيتان أشبه شيْءٍ بالسلحفاة، فإذا شُقَّت ظهرت الشقّتان من داخلها كأنّهما محارتا فضّة، ثمّ يشقّون عليها فيجدون فيها الحَبّةَ من الجوهر قد غطّى عليها لحمُ الصَّدف، فيجتمع لهم من ذلك بحسب الحظوظ والأرزاق" (ابن جبير،1980، ص46). فالواصف هنا يصف عمليّة استخراج اللؤلؤ من البحر، مستخدمًا في ذلك أفعالًا نحويّة في تتابع زمنيّ يُفَصِّلُ مراحل إنجاز العمليّة، وهذا التتابع فيه قدرٌ من التّراخي يدلّ عليه حرف العطف (ثمّ)، وهذه الأفعال هي (يستخرجونه، شُقّت، يشقّون، فيجتمع). وهذا النّوع من الوصف يقوم على تفريع الفعل الرئيسيّ في الفقرة (يستخرجونه)، وهو تفريع تراتبيّ أو تعاقبيّ يجعل كلّ فعل من الأفعال الواصفة لا يختلف في أهميّته عن فعل آخر، فإذا حُذِفَ منها فعلٌ اختلّ النّظامُ الوصفيّ.

8 - ابن جبير، ص: 45.

3-العلاقة بين الوصف والسّرد:

يقول (جيرار جينت):" كُلُّ حَكْيٍ يَتضمّن- سواء بنسبٍ متداخلة أو بنسبٍ شديدة التّغيير- أصنافًا من التّشخيص لأعمال أو أحداثٍ تُكوّنُ ما يوصف بالتّحديد سردًا...هذا من جهة، ويتضمّن من جهة أخرى تشخيصًا لأشياء أو لأشخاص، وهو ما ندعوه اليوم وصفًا"(حميد لحمداني،1991، ص77). ومع أنّه يمكن تمييز السّرد عن الوصف بناء على خصائص لغويّة وبنائيّة، فإنّ (جينيت) يرى أنّ القانون الّذي يخضع له السّردُ يختلف عن ذلك الّذي يخضع له الوصف، وأنّه إذا كان من الممكن أن نجد نصوصًا خالصة في الوصف، فإنّه من العسير جدًّا أن نجد سردًا خالصًا(لحمداني،1991، ص87).

يعمل الوصف والسّرد معًا في بناء الخطاب في أدب الرّحلات، ويمكن اعتمادًا على الخصائص البنائيّة الّتي يمتلكها السّرد أن نميّز بينه وبين الوصف في الخطاب السّرديّ عامّة، فالوصف يصور الأشياء والسّرد يصوّر الأحداث، والوصف يستعمل النُّعوت، والسّرد يستعمل الأفعال.

وإذا أُعْتُمِدت المعايير الّتي وُضعت للتّمييز بين السّرد والوصف، فإنّه يُمكن أن يُستخلص أنّ الوصف يغلب بصورة واضحة على رحلة ابن جبير، إذ يجد القارئ فيها مقاطع طويلة مقصورةً على الوصف ليس غير. فغالبًا ما كان الرّاوي في الرّحلة يسردُ ليصف، فتتغيّر وظيفته في الخطاب تبعًا لذلك. فتارة يقوم بدور السّارد، وتارة يقوم بدور الواصف. وكثيرًا ما يأتي السّرد في جمل قصيرة تمهّد للوصف، تتموضع في بداية الفقرات، على شاكلة قوله: " وبتنا في الطريق ليلة واحدة في بلدة تعرف بعلقمة، وهي كبيرة متّسعة، فيها السّوق، والمساجد، وسكّانُها وسكّانُ هذه الضّياع الّتي في هذه الطّريق كلّها مسلمون. وقمنا منها سحر يوم السبت الثّالث والعشرين لهذا الشّهر المبارك، والتّاسع والعشرين لدجنبر، فاجتزنا بمقربة منها على حصن يُعرف بحصن الجَمّة، وهو بلد كبير فيه حمّامات كثيرة، وقد فجّرها الله ينابيع في الأرض، وأسالها عناصر لا يكاد البدن يحتملها لإفراط حرّها، فأجزنا منها واحدة على الطّريق، فنزلنا إليها على الدّوابّ، وأرحنا الأبدان بالاستحمام فيها، ووصلنا إلى أطرابنش عصر ذلك اليوم، فنزلنا فيها في دار اكتريناها".(ابن جبير،1980، ص307-308)

فالجمل السّرديّة في هذا النصّ تداخلت مع الجمل الوصفيّة الفعليّة، ويمكن تمييز هذه الجمل السّرديّة الدالّة على الحركة في الزمان بسهولة، وهي: (وبتنا، وقمنا، فاجتزنا، فأجزنا، فنزلنا، ووصلنا، ونزلنا). أمّا بقيّة الجمل سواء أكانت اسميّة أم فعليّة فهي من الوصف. وتمثّل هذه الجمل وقفات قصيرة في سياق السّرد. ويلاحظ أنّ وظيفة الرّاوي وهو يسرد غير وظيفته وهو يصف، فهو ساردًا محتاج إلى تذكّر الأحداث وترتيبها والتحكّم فيها، وهو واصفًا محتاجٌ إلى معرفة الموصوفات وصفاتها(بلدة علقمة، سكّانها، حصن الجَمّة)، واختيار الكلمات والعبارات اللازمة لتمثيلها.

وليس كلُّ جمل فعليّة تكون بالضرورة سردًا، فقد تكون أوصافًا مسندة إلى موصوف، ومع ذلك فقد تلمح فيها الحركة الأفقيّة، وقد أشير فيما سبق من هذه الدراسة إلى الوصف بالفعل. وأكتفي هنا بمثال موجز مقتبس من الرّحلة: " والنّاس في هذه المدينة يرجمون الظنون في مقصد هذا الأسطول الّذي يحاول هذا الطّاغية تعميره"[9](ابن جبير،1980، ص311). فالموضوع المرسّخ هو(النّاس)، وقد جاء ترسيخه بجملة فعليّة (يرجمون)، وهي ليست سردًا.

وتبدو العلاقة-كما أشير سابقًا- وطيدة بين السّرد والوصف في رحلة ابن جبير، فلا يوجد فيها سردٌ بلا وصف، كما أنّ الوصف بما فيه من تأمّل في الأشخاص والأشياء كان يضفي جوًّا من الحيويّة على السّرد، كما في الفقرة التّالية الّتي جاء السّرد فيها مدخلًا للوصف، " وأسرينا الليل كلّه، فوصلنا إلى خان السلطان مع الصّباح، وهو خانٌ بناه صلاح الدّين صاحب الشّام، وهو في نهاية الوثاقة والحُسن، ببابٍ حديدٍ على سبيلهم في بناء خانات هذه الطّرق كلّها واحتفالهم في تشييدها، وفي هذا الخان ماء جارٍ يتسرّب إلى سقاية في وسط الماء كأنّها صهريج، ولها منافسُ يَنْصَبُّ منها الماءُ في سِقايةٍ صغيرةٍ مُستديرةٍ حولَ الصِّهريج ثُمَّ يغوص في سَرَبٍ في الأرض"(ابن جبير،1980، ص233).

فالوصف في المقطع السّابق متولّدٌ من السّرد(فأسرينا فوصلنا إلى خان السّلطان)، وهو أشبه ما يكون باستطرادات على حساب الزّمن السّرديّ، فيتوقّف السّرد، لِيَبْنِيَ الخطابُ الوصفيّ فضاء الحدث، ويقدّم تفصيلات له تقرّب صورته للمتلقّي، وتُغني الجانب المعرفيّ لديه.

ويأتي الوصف-في علاقته بالسّرد- من النّاحية الزمانيّة في رحلة ابن جبير على صورتين: وصف خارج عن زمن القصّة، ووصف يقع في زمن القصّة؛ أمّا الصنف الأوّل فهو استطراد لا علاقة له بزمن الخطاب، وكأنّه محطّة استراحة حتّى يعود السّردُ من جديد. من ذلك قول ابن جبير وهو على ظهر المركب في عكّة مستعدًّا لسفر العودة:" وتمادى مقامنا فيه مدّة اثني عشر يومًا لعدم استقامة الرّيح. وفي مهبّ الرّيح بهذه الجهات سِرٌّ عجيب، وذلك أنّ الرّيح الشرقيّة لا تهبُّ فيها إلّا في فصلي الربيع والخريف، والسفر لا يكون إلّا فيهما، والتّجارُ لا ينزلون إلى عكّة إلّا في هذين الفصلين..."(ابن جبير،1980، ص284). وهذا وصفٌ عامٌ لأحوال الرّيح وهبوبها في ميناء عكّة، وهو وصفٌ تأمّليّ لا يخدم حركة السّرد مباشرة، وهو يقع خارج زمن القصّة، يستريح الرّاوي فيه بُرهةً من الزّمن حتّى يستأنف السّرد من جديد، في قوله: "وكنّا طولَ هذه المدّة الّتي أقمنا فيها على ظهر المركب نبيت في البَرّ ونتفقّد أحوال المركب في الأحيان".(ابن جبير،1980، ص284)

وقد يأتي الوصفُ في زمن الخطاب مرتبطًا بلحظة معيّنة من لحظات السّرد، حيث يتوقّف السّرد أمام شيء ما، وينطلق الوصف لتفحّصه واستجلائه وعرضه خدمة للسّرد. كما في هذا المقطع:" وشرعَ البحريّون في إصلاحِ قُرَيَّة أخرى من خشبة كانت معدّة عندهم، والرّيح الغربيّةُ على أوّل لجاجها، ونحن

9 - وللاستزادة انظر ابن جبير: ص 144.

بين اليأس والرّجاء نتردّد مُغَلّبين حُسْنَ الثِّقة بجميل صُنْعِ اللهِ وحَفيّ لُطفه، ومعهود فضله، سبحانه، هو أهل ذلك، جَلّتْ قدرته، وتناهت عظمته، لا إله سواه"(ابن جبير،1980، ص285)؛ فالوصف في هذا المقطع مرتبط بلحظة معينة في السرد، وهي (شروع البحريّين بإصلاح السفينة)، حيث توقّف الزّمن الفعليّ للقصّة، ليأخذ الرّاوي الحديث عن حالة الرّيح، والأحوال النفسيّة لركّاب السفينة، والمشاعر الّتي اضطرمت في نفوسهم.

وقد يأتي السّرد والوصف معًا على شكل مقاطع قصيرة متتابعة تسرد حركة الذّات المرتحلة في الفضاء، وتصف مشاهداتها فيه بإيجازٍ، فيتوهّم المتلقّي المقطعَ كلَّه، لسرعة إيقاعه، سردًا، كما يتّضح ممّا يأتي: " ثمّ كان الانفصالُ عنها ببركة الله تعالى وحسن عونه صبيحة يوم الثامن لذي الحجّة المذكور، وهو الثّالث لإبريل، فكانت مرحلُتنا منه إلى موضع يُعرف بدمنهور، وهو بلدٌ مسوّرٌ في بسيط من الأرض أفْيَح، متّصلٌ من الإسكندريّة إلى مصر...ثمّ في اليوم الثّاني وهو يوم الإثنين، أجزنا النّيل بموضع يُعرف بِصا في مركب تَعْدية، واتّصل سيرنا إلى موضعٍ يُعرف بِبِرمة فكان مبيتنا بها، وهي قرية كبيرة فيها السّوق وجميع المرافق، ثمّ بكرنا يوم الثلاثاء، وهو يوم عيد النّحر سنة ثمانٍ وسبعين وخمسماية المؤرّخة، فشاهدنا الصّلاة بموضع يُعرف بطَنْدَتَه، وهي من القرى الفسيحة الآهلة، فأبصرنا بها مجمعًا حفيلًا، وخطب الخطيب بخطبة بليغة جامعة، واتّصل سيرنا إلى موضعٍ يُعرفُ بِسُبْك، وكان مبيتنا بها"[10].(ابن جبير،1980، ص17-18)

ويوجد في الرّحلة فقرات كثيرة مقصورة على الوصف وتخلو من أي صورة من صور السّرد، كما في الفقرة التّالية الّتي تصف أحوال المتصوّفة في دمشق: "وهذه الطّائفة الصّوفيّة هم الملوك بهذه البلاد، لأنّهم قد كفاهم اللهُ مُؤَنَ الدُّنيا وفضولها، وفرّغ خواطرهم لعبادته من الفكر في أسباب المعايش، وأسكنهم في قصور تُذَكّرُهم قصورَ الجِنان. فالسُّعداء الموفّقون منهم قد حصل لهم بفضل الله تعالى نعيمُ الدّنيا والآخرة. وهم على طريقة شريفة، وسُنّة في المعاشرة عجيبة..."(ابن جبير،1980، ص226). فقد استطرد الرّاوي في الوصف حتّى نُسيَ السَّردُ، أو أنّه استبدلَ بالسّرد الوصفَ، واستعاض به عنه، ولا سيّما أنّه قد سبق ذلك ستُّ فقرات في وصف أبواب دمشق ومسجدها الجامع وكنيسة مريم ومدارسها، ومارستانين فيها...وتلاه كذلك وصفٌ لمظاهر أخرى، ما يؤكّد ما ذُكِر قبل قليل من غلبة الوصفِ السّردَ في رحلة ابن جبير. ومن الأمثلة على ذلك أيضًا الفقرة التّالية الّتي تصف مدينة حلب: "وأمّا البلدُ فَمَوْضُوعُهُ ضخمٌ جدًّ، حفيلُ التَّركيب، بديعُ الحُسْنِ، واسعُ الأسواقِ كبيرُها، مُتَّصلةُ الانتظامِ، مُستطيلة، تَخرجُ مِن سِماطِ صَنْعَةٍ إلى سِماط صنعةٍ أخرى، إلى أن تَفْرُغَ من جميع الصِّناعات المدنيّة، وَكُلُّها مُسَقَّفٌ، فَسُكّانُها في ظلالٍ وارفةٍ، فَكُلُّ سوقٍ منها تُقَيّدُ الأبصارَ حُسْنًا، وَتَسْتَوْقِفُ المُسْتَوفِزُ تَعَجُّبًا."(ابن جبير،1980، ص226)

4-الوصف عن طريق الرؤية:

وهو كلّ وصفٍ قناته حاسّة من الحواسّ الخمس. ويتمّ الوصف عن طريق الرؤية وفق التسلسل الآتي: الرغبّة في الرؤية(الإرادة)، معرفة الرؤية، القدرة على الرؤية، الرؤية، الوصف.(هامون،2003، ص220) وتقوم بهذا الوصف شخصيّة مشاركة في الأحداث، وتسمّى (الرّائي الواصف) (القاضي،2010، ص468)؛ ومن الأمثلة الدّالة على هذا النّوع من الوصف وصف ابن جبير هيكلٍ للنصارى في مدينة (إخميم) من صعيد مصر؛ فالرّغبة في الرؤية تتمثّل في رغبة الواصف في استكشاف هذا البناء ومعرفة تفاصيله، وجُسِّد ذلك في الأعمال الّتي قام بها عندما دخل الهيكل مثل قوله: "من أعظمها ما كِلْنا فيه من ستّة وخمسين شبرًا طولًا وعشرة أشبار عرضًا، وثمانية أشبار ارتفاعًا"(ابن جبير،1980، ص36). واستُشِفَّت معرفة الرؤية في دلالة النصّ على سلامة حواسّ الرّائي الواصف، وهذه المعرفة وحدها لا تكفي، بل لا بدّ من تحقُّق القدرة على الرؤية وذلك بزوال الحواجز البصريّة وغير البصريّة الّتي تحول بين الرّائي الواصف وما يراه. ويُستشفّ ذلك من بعض الأفعال الّتي فوّضت للشخصيّة الواصفة، مثل: "ما كِلْنا فيه، يخيَّل للنّاظر، ما يطول له الوصف، فيحسب النّاظر" كما يُستشفّ ذلك أيضًا من التفاصيل الدقيقة لأوصاف الهيكل، وهي أوصاف اِلْتُقِطت من اتّجاهات مختلفة، مثل الرؤية الأفقيةّ الّتي تقع في مستوى النّظر: "ومن أعظم الهياكل المتحدّث بغرائبها في الدّنيا هيكل عظيم في شرقيّ المدينة المذكورة وتحت سورها، طوله مائتا ذراع، وعشرون ذراعًا، وسعته مائة وستّون ذراعًا".(ابن جبير،1980، ص36) والرؤية من الأسفل، حيث يصوّب النّظر من الأعلى، مثل وصف السّواري: "ورؤوسها في نهاية من العظم والاتقان، قد نُحِتَت نحتًا غريبًا فجاءت مُرَكَّنةً بديعة الشّكل كأنّ الخرّاطين تناولوها..."، والرؤية من الأعلى حيث يصوّب النّظر نحو الأسفل: "والتّصاوير على أنواع في كلّ بلاطة من بلاطاته، فمنها ما جَلَّلَتْه طيورٌ بصورٍ رائقة باسطة أجنحتها توهم النّاظر أنّها تهمّ بالطَّيَران....." والرؤية من الدّاخل حيث يركّز على مكوّنات المكان المغلق، مثل: " وداخل هذا الهيكل من المجالس والزّوايا والمداخل والمخارج والمصاعد والمعارج والمسارب والموالج ما تضلُّ فيه الجماعات الجماعات من النّاس، ولا يهتدي بعضهم لبعض إلاّ بالنّداء العالي..."، والرؤية من اتّجاهات متعدّدة، كما في قوله: "وداخل هذا الهيكل العظيم وخارجه وأعلاه وأسفله تصاوير كلّها مختلفات الأشكال..."ويبدو أنّ الرّائي الواصف قد استهواه المنظر فراح يتقرّى مكوّناته الدقيقة، إلى درجة أنّه قال: "وما فيها مغرزُ إشْفَى ولا إبرة إلاّ وفيه صورة أو نقش أو خطٌّ بالمُسند لا يُفهم"(ابن جبير،1980، ص37). كما يستشف من الوصف أنّ الرّائي الواصف تارة يكون ثابتًا في المكان ويجيل بصره في أنحائه، وتارة يكون متحرّكًا يغير موقعه فتحضر الموصوفات تبعًا لحركة تنقّله واتّجاهه.

10 -وللاستزادة انظر: ابن جبير: ص187، 222.

وقد تكون الرؤية عن طريقة حاسّة أخرى مثل حاسّة اللمس، كما في قوله يصف مقامه في (عَيذاب): "فأقمنا بين هواء يُذيب الأجسام وماء يشغل المعدةَ عن اشتهاء الطّعام"(ابن جبير،1980، ص49). ومن ذلك وصفه لِنُعومة الحجر الأسود: " وللحجر الأسود عند تقبيله لدونة ورطوبة يتنعم بها الفمُ حتّى يودّ اللّاثم أنْ لا يُقلعَ فمَهُ عنه"(ابن جبير،1980، ص67). وقد تكون الرؤية عن طريق حاسّة السّمع، كما في قول ابن جبير يصف أصوات القرّاء وهم يطوفون بالبيت العتيق، وما يحدثه ذلك من أثر في نفوس السّامعين: "وأصوات القرّاء وعلوّها بكتاب الله، عزّ وجلّ، مجموع يُحرّكُ النفوس ويُشجيها ويستوكف العيون ويبكيها"(ابن جبير،1980، ص75). وقد يمزج الرّائي الواصف بين حاسّتين معًا في وصف شيء ما، كما في وصفه بطّيخ مكّة المكرمة حيث جمع بين الرؤية الشمّية والرؤية الذّوقية: " لكنّ للبطّيخ فيها خاصّة من الفضل عجيبة، ذلك لأنّ رائحته من أعطر الرّوائح وأطيبها، يدخل به الدّاخل عليك فتجدُ رائحته العبقة قد سبقت إليك، فيكاد يشغلك الاستمتاع بطيب ريّاه عن أكلك إيّاه، حتّى إذا ذقتَه خُيِّل إليك أنّه شِيبَ بِسُكَّرٍ مذابٍ أو بجنى [النّحل] اللُباب."(ابن جبير،1980، ص97)

خامسًا- وظائف الوصف في رحلة ابن جبير:

يؤدّي الوصفُ في النصّ السرديّ وظائفَ متعدّدة، فكما أنّ الوصفَ أسلوب كتابةٍ وخطاب له بنية شكليّة، وطرائق اشتغال في النصّ؛ فإنّ له كذلك بنيةً دلاليّة وثيقة الصّلة بسياقها السّرديّ والمقاصد التّواصليّة الّتي يرمي إليها الواصف(العمامي،2010، ص174)، وكما يقول (فيليب هامون): الوصف "هو وصفٌ من أجل، وهو ممارسة نصيّة موجّهة إلى غاية"(هامون، 2003، ص27)، وأنّ من القواعد الّتي يتحتّم الالتزام بها ألّا نصف من أجل الوصف، بل لغاية إضافة شيء ما، وأنّ الوصف وحدة وظيفيّة.(هامون، 2003، ص36) وقد اشتقّ دارسو السرديّات وظائف كثيرة للوصف، فأشاروا إلى الوظائف الإفهاميّة، والزّخرفيّة أو التزيينيّة، والتّعليميّة، والتّمثيليّة، والتّعبيريّة، والسّرديّة، والإبداعيّة، والأيديولوجيّة أو القيميّة،(هامون،2003، ص141،العمامي،2010، ص173-212، مشعل،2015، ص179، محفوظ،2009، ص42)، ومنهم من أجملها في وظيفتين اثنتين هما الوظيفة الجماليّة والوظيفة التّوضيحيّة أو التفسيريّة،(لحمداني،1991، ص70)، ومنهم من فصّل القول فيها.(قسومة،2009، ص347-360)

ولا تنطبق هذه الوظائف كلّها على النصّ الرّحليّ موضوع الدّراسة، لأنّه نصّ له خصوصيّته الأجناسيّة من ناحية، ولأنّ أغلب تلك الوظائف اشتُقّت لدراسة النّصوص السرديّة الحديثة من ناحية ثانية. لذا فستقف الدّراسة على وظائف معيّنة تصلح للتطبيق على رحلة ابن جبير. وأشير ابتداء إلى أنّ الوصف في هذه الرّحلة دالٌّ على المعنى في ذاته، دون الحاجة إلى التّصريح بذلك المعنى سواء قبله أو بعده.(لحمداني،1991 ،ص79،قفصي،2013، ص159)

أوّلًا- الوظيفة التّزيينيّة: وتتمثّل في رغبة الكاتب في إظهار براعته الفنيّة، ومهارته البلاغيّة، والتّصرُّف بفنون القول، فيتوسّل في برنامجه الوصفيّ بضروب من التّشبيه والاستعارات، وألوان من الجناس والطباق والمقابلة، الّتي تضفي على الأسلوب نوعًا من التّوازي والإيقاع النّثريّ، وغالبًا ما يطول هذا النّوع من الوصف، حتّى يتيح الكاتب لنفسه إظهار قدراته الفنّيّة. ونجد مثل هذا الوصف في مقاطع من رحلة ابن جبير، ولا سيّما في مستهلّ وصفه لبعض البلدان الّتي اجتازها، كما في قوله، يصف مدينة حرّان: " بلدٌ لا حُسْنَ لديه، ولا ظِلَّ يتوسَّطُ بَرْدَيْه، قد اشتُقّ من اسمه هواؤه، فلا يألفُ البردَ ماؤه، ولا تزال تتّقدُ بِلَفْحِ الهجير ساحاتُه وأرجاؤه، ولا تجد فيه مقيلا، ولا تتنفّس منه إلّا نفسًا قليلًا، قدْ نُبِذَ بالعراء، ووُضعَ في وسط الصّحراء، فَعَدِمَ رَوْنَقَ الحضارة، وتعرّت أعطافه من ملابس النّضارة"(ابن جبير،1980، ص221)؛ فالبرنامج الوصفيّ في هذه الفقرة مؤسّس على لغة بيانيّة، تتوسّل بالتّشبيه، والاستعارة التشخيصيّة، والتّداعي اللفظيّ، والمقابلة. ولا ريب في أنّ ابن جبير أراد أن يُظهر براعته في التّعبير من ناحية، وتمثيل حالة هذه المدينة، ذات الجوّ النّكِد.

ثانيًا- الوظيفةُ القِيَمِيَّة: وتتمثّل في رغبةِ الكاتب في التّعبير عن آرائه(القاضي،2010، ص472)، وإقحام أفكاره، وإصدار أحكام قيميّة على بعض ما تعاينه الذّات الواصفة، ويكون الوصف في هذه الحالة خارجًا عن مقتضيات الخطاب، وحركته السّرديّة، لأنّه يكون مجرّد وسيلة لإنشاء موصوفاتٍ تُعبّر عن رأي الذّات الواصفة، كما في قول ابن جبير يتحدّث عن صفاء العقيدة في الأندلس مقارنة بها في المشرق، وذلك في قوله: "وليتحقّق المتحقّق، ويعتقد الصّحيح الاعتقاد أنّه لا إسلامَ إلّا ببلاد المغرب، لأنّهم على جادّة واضحة لا بُنَيَّات لها. وما سوى ذلك ممّا بهذه الجهات المشرقيّة فأهواءٌ وبدع، وفرق ضالّة وَشِيَعٌ، إلّا مَن عَصم الله عزّ وجلّ مِن أهلها. كما أنّه لا عدل ولا حقَّ ولا دِين على وجهه إلا عنْد الموحّدين، أعزّهم الله، فهم آخر أئمّة العَدْل في الزّمان. وَكُلُّ مَن سواهم من الملوك في هذا الأوان فعلى غير الطَّريقة يَعْشِرُون تُجَّار المسلمين كأنّهم أهلُ ذمّة لديهم، ويستجلبون أموالهم بكلِّ حِيلةٍ وَسَبَبٍ، ويركبون طرائق من الظُّلم لم يُسمعْ بِمِثْلِها".(ابن جبير،1980، ص55-56)

وغاية هذا الوصف أنّ تعبّر الذّات الواصفة عن موقفها من قضيّة ما ليس غير، وهو وصفٌ لا علاقة له بزمن السّرد، وغير مؤتلفٍ معه، ويقع خارجه، ولا يؤدّي وظيفة فنيّة.

ثالثًا-الوظيفة المعرفيّة: وغايتها تقديم معلومات عن شخصيّة ما أو موضوعٍ ما، لإبراز معرفة الذّات الواصفة به، وإلمامه بمعطيات فضاء الخطاب ومتعلّقاته. من ذلك حديث ابن جبير عن الأمور المحظورة في الحرم: " ومن الأمور المحظورة في هذا الحرم الشّريف، زاده الله تعظيمًا وتكريمًا، أنّ النَّفقة فيه ممنوعة، لا يجدُ المُتاجِرُ من ذوي اليسار إليها سبيلًا في تجديد بناء أو إقامة حطيم أو غير ذلك ممّا يختصّ بالحرم المُبارك. ولو كان الأمر مباحًا في

ذلك لجعلَ الرّاغبون في نفقات البِرّ مِنْ أهل الجِدَةِ حيطانَه عسجدًا وترابَه عَنْبرًا، لكنّهم لا يجدون السّبيل إلى ذلك، فمتى ذهبَ أحدُ أرباب الدّنيا إلى تجديد أثرٍ من آثاره أو إقامة رَسْمٍ كريم من رُسومه أخذ إذْنَ الخليفة في ذلك(ابن جبير،1980، ص104)؛ فالوصف هنا ليس هدفًا في ذاته، أو قائمًا في ذاته، وإنّما هو داخل في رغبة الذّات الواصفة إبراز معارفها وإحاطتها المعرفيّة بالفضاء الّذي تتحرّك فيه.

رابعًا-الوظيفة التّصويريّة (التّمثيليّة): وهو برنامج وصفيٌ مغلقٌ لا يتخلّله سَردٌ، والوصف في هذه الحالة لا ينقطع عن مرجعه الواقعيّ، فهو يصدر عن العناصر الماثلة في المرجع الخارجيّ، وينتخب منها خصائصَ وسماتٍ يوظّفها في نَسْجِ المشهد التّصويريّ. وهذا الوصف لا يُفيد في التَّطوّر السّرديّ، وإنمّا يعطّله تمامًا (قفصي، 2013، ص159). والمشهد المصوَّر ليس نسخة طبق الأصل ممّا هو في الواقع، وإنّما هو اقتناصٌ للحظة ما من هذا المرجع الواقعيّ، تختار الذّات الواصفة تفاصيلها، ويُعبَّر عنها لسانيًّا، لتتحوّل المادّة المرجعيّة إلى شكل فنيّ، أو مشهد تصويريّ يكتمل في الخطاب، وتوحي بظلال جماليّة وشعوريّة وفكريّة.

وقد تنوّعت أطياف هذه الظّلال في رحلة ابن جبير؛ وهي انعكاس لهوًى من أهواء الشخصيّة، وَقَصْدٍ يحبُّ أن يؤثّر في الموصوف له؛ فقد يتوخّى الوصف تحقيق بعض الأهداف الّتي ترمي إليها الذّات الواصفة، وبعض هذه الأهداف ترتبط بمقصد الخطاب الرّحليّ، من ذلك وصف المخاطر الّتي يتعرّض لها الحجّاج، سواء أكانت مخاطر طبيعيّة، أم مخاطر من عمل الإنسان، وكأنّ ابن جبير أراد أنْ ينبّه الحجيج المغربيّ على هذه المخاطر، كما في حديثه عن أهوال البحر في غير ما موضع من رحلته(ابن جبير،1980، ص10، 49)، ووصفه لبعض الخصائص المناخيّة والطبوغرافيّة لبعض البلدان،(ابن جبير،1980، ص 45، 46، 49)، ووصفه لمعاناة الحجّاج من معاملة عمّال المكوس في ميناء عيذاب وغيره.(ابن جبير،1980، ص13، 39، 47)

وقد يرمي الوصف التصويريّ إلى التّشويق إلى زيارة بعض المعالم، كما في وصف المسجد الحرام ومناسك الحجّ، وقد سلك ابن جبير في رحلته الحجية مسلكًا يستثير الوجدان ويستجيش المشاعر لزيارة الديار الحجازية وأداء فريضة الحج، فهو يمزج في سرده ووصفه بين الجانبين: المعرفيّ والوجدانيّ، بين التّعريف بعمارة البيت المقدّس ووصفه وصفًا هندسيًّا دقيقًا اعتمادًا على المقاييس، ووصف مناسك الحجّ والعمرة وفضائل المكان. ومن هذه المشاهد مشهد كسوة الكعبة يوم النَّحر؛ حيث استهلّ ابن جبير حديثه عن ذلك بوصف الأجواء الاحتفاليّة، حيث حُملت الكسوة على أربعة أجمال " تقدّمها القاضي بكسوة الخليفة... والرّايات على رأسه، والطبول تهدرُ وراءه"(ابن جبير،1980، ص57)، ثمّ يرسم صورة بصريّة أخّاذة لهذه الكسوة بعد إسبالها على الكعبة تداخلت فيها الألوان الجميلة، والآيات القرآنية الكريمة، والرسومات الرقيقة، والأدعية للخليفة، فبدت الكسوة "خضراء يانعة تقيّد الأبصار حسنًا، في أعلاها رسم أحمر واسع". وعلى الرغم من حداثة هذه الكسوة وتجدّدها كلّ عام فإنّه ظلت مرتبطة بِآيِ الذِّكر الحكيم الّذي جعل هذا البيت مثابة للناس، لذا فقد رُقم في الصفح المواجه للمقام الكريم من هذه الكسوة بعد البسملة (إنّ أول بيت وُضع للنّاس لَلَّذي ببكّة مباركًا فيه) (ابن جبير،1980، ص158)، وينهي ابن جبير هذا المشهد الوصفيّ بعبارة تمثّل انعكاسه على وجدانه، وتستثير من خلال الدعاء مكامن الشوق لزيارة البيت الكريم؛ فقد "لاح للنّاظرين منها أجمل منظر، كأنّها عروس جُليت في السندس الأخضر، أمتع الله بالنظر إليها كل مشتاقٍ إلى لقائها، حريص على المثول بفنائها بمنه".(ابن جبير،1980، ص158) وكما في وصف مدارس دمشق ومعاهدها العلميّة، والتسهيلات الّتي تقدّم لطلبة العلم، وممّا يؤكّد هذه الغاية التشويقيّة، أنّه أنهى هذا الوصف بحثّ طلبة العلم إلى قصد دمشق طلبًا للعلم: "فهذا المشرق بابه مفتوح لذلك، فادخل أيّها المجتهد بسلام، وتغنّم الفراغ والانفراد قبل عَلْقِ الأهل والأولاد، وتقرع سنَّ النَّدمِ على زمن التّضييع".(ابن جبير،1980، ص258)

كما يغدو هذا التّصوير-أحيانًا-مقدِّمة لتعبير الذّات الواصفة عن مشاعرها إزاء موقف ما، أو حدث ما أو شخصيّة معيّنة، كما في وصف التّسامح الدّيني بين المسلمين والنّصارى المجاورين لجبل لبنان(ابن جبير،1980، ص259)، ووصف استغلال المسلمين والفرنجة بعض الأراضي مناصفة(ابن جبير،1980، ص273)، وتردّد القوافل التّجاريّة بين الطّرفين دون اعتراض عليها.(ابن جبير،1980، ص260، 272) وقد يستثير هذه المشاعرَ مشهدٌ غريب تقع عليه رائيةُ الذّات الواصفة، فتعبّر عن دهشتها لما تراه، كما في وصف عرس إفرنجيٍّ في مدينة صور المحتلّة.(ابن جبير،1980، ص278)

خاتمة:

تناولت هذه الدّراسة الوصف في رحلة ابن جبير متّكئةً على ما شيّده (فيليب هامون) في كتابه (في الوصفيّ)، وما درسه العمامي في كتابه(الوصف في النصّ السّرديّ بين النّظريّة والإجراء).

وبيّنت الدّراسة أنّ المقاطع الوصفيّة كَثُرت في رحلة ابن جبير، وتباينت هذه المقاطع في الطول والقصر، وتبوّأت مواضع مختلفة فيها، ولا يجد القارئ صعوبة في تحديدها وتمييزها، وَتَوَقُّعِ ظهورها في المتن الرحليّ، وغالبًا ما كان يُمَهِّدُ لها بصيغٍ تدلّ عليها، أو تُنبِئُ بورودها.

وقد تنوّعت العمليّات الوصفيّة في الرّحلة تنوّعًا يشفّ عن تمرّس ابن جبير بفنون القول، والتّعويل على الوصف في بناء الخطاب الرّحليّ، ولعلّ أبرز هذه العمليّات التّرسيخ والتّعيين وتحديد المظاهر وإعادة الصّياغة والتّعليق.

وبيّنت الدّراسة أنّ ابن جبير اتّبع أساليب متنوّعة في الوصف تناسب الأشياء الموصوفة وتراعي أحوال الذّات الموصوف لها، ومن أبرز هذه الأساليب الوصف بالقول والوصف بالفعل والوصف عن طريق الرّؤية، وكان الوصف عن طريق الفعل هو الغالب في الرحلة، ممّا جعله عنصرًا عاضدًا للسّرد

فيها، وأضفى عليه نوعًا من النّظام والحركيّة.

واعتمادًا على الخصائص البنائيّة للسّرد والوصف، فقد بيّنت الدراسة العلاقة بين السّرد والوصف في الرّحلة، وكيف أنّ العلاقة كانت وطيدة بينهما، فلا نجد فيها سردًا بلا وصف، وأنّ الوصف الحركيّ بالفعل، لغلبته على النصّ الرّحليّ، كان يقوم أحيانًا مقام السّرد.

وبيّنت الدّراسة أنّ الوصف في الرحلة لم يكن لذاته، بل أدّى وظائف تُهمّ المتلقّي وتدمجه في البرامج الوصفيّة، ومن أبرز هذه الوظائف الوظيفة التزيينيّة، والوظيفة القيميّة، والوظيفة المعرفيّة، والوظيفة التّصويريّة.

واستنتجت الدّراسة أنّ الوصف في النّصوص السرديّة التراثيّة بحاجة إلى دراسات جديدة في ضوء الدراسات السرديّة الحديثة، ولا سيّما أدب الرحلات في النّثر العربيّ القديم.

والحمد لله ربّ العالمين

المصادروالمراجع

ابن جبير، أ. (1980)، رحلة ابن جبير المسمّاة تذكرة بالأخبار عن اتّفاقات الأسفار، دار صادر، بيروت.

حسني، م. (1995)، أدب الرحلات عند العرب، رحلات أمين الرّيحانيّ نموذجًا، عمان.

حسين،م. (1989) أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد138، حزيران.

خليل، إ. (1993) أوراق في اللغة والنّقد الأدبيّ، عمّان.

الديوب، س. (2019)، الوصف في السرد العربيّ القديم: منظر صيدٍ لعبد الحميد الكاتب أنموذجًا، مجلّة دراسات في اللغة العربيّة وآدابها، جامعة سمنان، إيران، السنة العاشرة، العدد29).

رحيمة، ش. (2010) الوصف وإنجاز العمل الأدبيّ(مجلّة كليّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، العدد السادس، الجزائر، جانفي).

زكي، م. (1981)، الرحّالة المسلمون في العصور الوسطى.

زيادة، ن. (1943)، روّاد الشّرق العربيّ في العصور الوسطى، بيروت.

زيادة، ن.(1962) الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت.

الشوابكة، ن. (2008) أدب الرحلات الأندلسيّة والمغربيّة حتّى نهاية القرن التاسع، عمّان.

ضيف، ش. (1987) الرحلات، القاهرة، ط4.

عبّاس، إ. (2001)، دراسة في الرحّالة ابن جبير الأندلسيّ البلنسيّ الكنانيّ وآثاره الشعريّة والنثريّة، بيروت.

عبد الواحد، ذ. (2004)الرحلات المتبادلة بين المغرب ذ والمشرق، بيروت.

العجيمي، م. (2003)، الخطاب الوصفيّ في الأدب العربيّ القديم الشعر الجاهليّ نموذجًا، مركز النَّشر الجامعيّ بتونس، ومنشورات السعيدان بسوسة.

العسكريّ، أ. (د.ت) كتاب الصّناعتين، تحقيق مفيد قميحة، بيروت.

عضاضه، و. (1979) الرحلات عند العرب في العصور الوسطى، مجلّة تاريخ العرب والعالم، السّنة الأولى، عدد12، تشرين الأوّل، بيروت.

العمامي، ن. (2010) الوصف في النصّ السّرديّ بين النّظريّة والإجراء، دار محمد علي للنشر والتوزيع، صفاقص.

عوض، إ. (1992) رحلة ابن جبير، دراسة في الأسلوب، القاهرة.

فلاح، ش. (1989) ابن جبير في رحلته، قراءة في الجوانب الجغرافيّة للرحلة، مجلّة المورد، عدد4، مجلد18، بغداد.

القاضي، م. وآخرون(2010) معجم السّرديّات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1.

قدامة، ا.ج. (د.ت) نقد الشعر، تحقيق محمّد عبدالمنعم خفاجي، بيروت دارالكتب العلميّة.

قسّومة، أ. (2009) علم السّرد(المحتوى والخطاب والدّلالة)، منشورات جامعة لإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة.

قفصي، ف. (2013) شعريّة الوصف في أدب الرّحلة-رحلة ابن بطوطة أنموذجًا،(مجلّة التّواصل في اللغات والآداب، الجزائر، عدد37، مارس).

قنديل، ف. (2002)، أدب الرحلة في التراث العربيّ، القاهرة.

القيروانيّ، ا.(1981) لعمدة في محاسن الشِّعر وآدابه ونقده، تحقيق محمّد محيي الدّين، دار الجيل لبنان.

كراتشكوفسكي، (1965)، تاريخ الأدب الجغرافيّ العربيّ، ترجمة صلاح الدّين عثمان هاشم، القاهرة.

لحمداني،ح.(1991)، بنية النّص السرديّ(من منظور النّقد الأدبيّ)، المركز الثقافيّ العربيّ للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت.

مؤنس،ح. (1967)، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد.

محفوظ، ع. (2009)، وظيفة الوصف في الرّواية، منشورات الاختلاف، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، الجزائر.

موافي،ع.(1973)، لون من أدب الرحلات: دراسة نقديّة، الإسكندرية.

نداء، أ. (2015)، الوصف في تجربة إبراهيم نصرالله الرّوائيّة، وزارة الثقافة، عمّان.

هامون، ف. (2003)، في الوصفي، تعريب سعاد التريكي، المجمع التّونسيّ للعلوم والآداب والفنون(بيت الحكمة)، قرطاج.

References

A ‘ḍāḍh, wa. (1979) al-riḥlāt ‘inda al-‘Arab fī al-‘uṣūr al-Wusṭá, mjllh Tārīkh al-‘Arab wa-al-‘ālam, alssnh al-ūlá, ‘dd12, Tishrīn al-awwal, Bayrūt.

‘Abbās, I. (2001), dirāsah fī alrḥḥālh Ibn Jubayr al’ndlsī alblnsī alknānī wa-āthāruh alsh‘ryyh wālnthryyh, Bayrūt.

‘Abd al-Wāḥid, Dh.(2004) al-riḥlāt al-mutabādalah bayna al-Maghrib Dh wa-al-Mashriq, Bayrūt.

Al-‘Amāmī, N. (2010) al-waṣf fī alnṣṣ alssrdī bayna alnnẓryyh wa-al-ijrā’, Dār Muḥammad ‘Alī lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, ṣfāqṣ.

Al-Dayyūb, S. (2019), al-waṣf fī al-sard al‘rbī al-qadīm: munẓar ṣydin li-‘Abd al-Ḥamīd al-Kātib unamūdhajan, mjllh Dirāsāt fī al-lughah al-‘Arabīyah wa-ādābihā, Jāmi‘at smnān, Īrān, al-Sunnah al-‘āshirah, al‘dd29).

al-Qāḍī, M. wa-ākharūn (2010) Mu‘jam alssrdyyāt, Dār Muḥammad ‘Alī lil-Nashr, Tūnis, Ṭ1.

Alqyrwānī, A. (1981) l‘mdh fī Maḥāsin alshshi‘r wa-ādābuh wa-naqdih, taḥqīq Muḥammad Muḥyī alddyn, Dār al-Jīl Lubnān.

al-Shawābikah, N. (2008) adab al-riḥlāt al’ndlsyyh wālmghrbyyh ḥttá nihāyat al-qarn al-tāsi‘, ‘Ammān.

Al‘skrī, U. (D. t) Kitāb alṣṣnā‘tyn, taḥqīq Mufīd Qumayḥah, Bayrūt.

Al-‘Ujaymī, M. (2003), al-khiṭāb alwṣfī fī al-adab al‘rbī al-qadīm al-shi‘r aljāhlī namūdhajan, Markaz alnnashr aljām‘ī bi-Tūnis, wa-manshūrāt al-Sa‘īdān bi-Sūsah.

Awaḍ, I. (1992) Riḥlat Ibn Jubayr, dirāsah fī al-uslūb, al-Qāhirah.

Ḍayf, Sh. (1987) al-riḥlāt, al-Qāhirah, ṭ4.

Falāḥ, Sh. (1989) Ibn Jubayr fī riḥlatuh, qirā’ah fī al-jawānib aljghrāfyyh llrḥlh, mjllh al-Mawrid, ‘dd4, mjld18, Baghdād.

Hāmon, Ph. (2003), fī al-waṣfī, ta‘rīb Su‘ād al-Turaykī, al-Majma‘ alttwnsī lil-‘Ulūm wa-al-Ādāb wa-al-Funūn (Bayt al-Ḥikmah), Qarṭāj.

Ḥusayn, M.(1989) adab al-riḥlāt, Silsilat ‘Ālam al-Ma‘rifah, al-Kuwayt, al‘dd138, Ḥazīrān.

Ḥusnī, M,(1995) adab al-riḥlāt ‘inda al-‘Arab, riḥlāt Amīn alrryḥānī namūdhajan, ‘Ammān.

Ibn Jubayr, U,(1980) Riḥlat Ibn Jubayr almsmmāh Tadhkirat bāl’khbār ‘an attfāqāt al-asfār, Dār Ṣādir, Bayrūt..

Khalīl, I. (1993) Awrāq fī al-lughah wālnnqd al’dbī, ‘Ammān.

Laḥmidānī, Ḥ. (1991), Binyat alnnṣ alsrdī (min manẓūr alnnqd al’dbī), al-Markaz althqāfī al‘rbī lil-Ṭibā‘ah wālnnshr wālttwzy‘, Bayrūt.

Maḥfūẓ, ‘A. (2009), Waẓīfat al-waṣf fī alrrwāyh, Manshūrāt al-Ikhtilāf, alddār al-‘Arabīyah lil-‘Ulūm Nāshirūn, al-Jazā’ir.

Mu’nis, Ḥ. (1967), Tārīkh al-jughrāfīyah wa-al-jughrāfīyīn fī al-Andalus, Madrīd.

Muwāfī, ‘A. (1973), lawn min adab al-riḥlāt: dirāsah nqdyyh, al-Iskandarīyah.

Nidā’, U. (2015), al-waṣf fī tajribat Ibrāhīm nṣrāllh alrrwā’yyh, Wizārat al-Thaqāfah, ‘Ammān.

Qafṣī, F. (2013) sh‘ryyh al-waṣf fī adab alrrḥlt-rḥlh Ibn Baṭṭūṭah unamūdhajan, (mjllh alttwāṣl fī al-lughāt wa-al-Ādāb, al-Jazā’ir, ‘dd37, Mārs).

Qandīl, F. (2002), adab al-Riḥlah fī al-Turāth al‘rbī, al-Qāhirah.

Qsswmh, U. (2009) ‘ilm alssrd (al-muḥtawá wa-al-khiṭāb wālddlālh), Manshūrāt Jāmi‘at li-Imām Muḥammad ibn Sa‘ūd al’slāmyyh.

Qudāmah, A. J. (D. t) Naqd al-shi‘r, taḥqīq Muḥammad ‘bdālmn‘m Khafājī, Bayrūt dārālktb al‘lmyyh.

Raḥīmah, Sh. (2010) al-waṣf wa-injāz al-‘amal al’dbī (mjllh Kullīyat al-Ādāb wa-al-‘Ulūm alājtmā‘yyh wāl’nsānyyh, al-‘adad al-sādis, al-Jazā’ir, Jānfī).

Zakī, M. (1981), alrḥḥālh al-Muslimūn fī al-‘uṣūr al-Wusṭá.

Ziyādah, N. (1943), rwwād alshshrq al‘rbī fī al-‘uṣūr al-Wusṭá, Bayrūt.

Ziyādah, N. (1962) al-jughrāfīyah wa-al-riḥlāt ‘inda al-‘Arab, Bayrūt.